رواية

المحتال

-رواية كردية معاصرة-

رواية

المحتال

-رواية كردية معاصرة-

تأليف

د. كمال سعدي مصطفى

ترجمة

نجاة خوشناو

دار موكريانى للطباعة و النشر

- **المحال (رواية كردية معاصرة)**
- تأليف: د. كمال سعدي مصطفي
- ترجمة: د. نجاة خوشناو
- المواجعة: خالد بكر ايوب
- التصميم الداخلي: ريدار جعفر
- الغلاف: هوگر صديق
- رقم الايداع: ()
- السعر: () دينار
- الطبعة الاولى:
- العدد:
- المطبعة : مطبعة (اربيل)

تسلسل الكتاب ()

كافة الحقوق محفوظة لمؤسسة موكرياني

الموقع: www.mukiryani.com

ئيميل: info@mukiryani.com

بعد عشرين سنة من الخدمة الوظيفية و ادخار مبلغ مالي، كان يستقطعه و يجمعه (فلسا على فلس)، أخيرا استطاع والدي شراء قطعة ارض سكنية في حي (المفتي) الذي كان يقع في اطراف المدينة، اغلبية الاراضي كانت مزروعة بالحبوب (الحنطة و الشعير) في تلك الفترة، لم يكتف والدي بالشراء، بل بادر الى بناء اربع غرف تقليدية و مكشوفة، وذلك عن طريق(الديون) من مصادر عديدة، لقد بقيت هذه المنطقة غير مأهولة ولا تجد فيها سوى عدة بيوت لا تتعدى اصابع اليد، متناثرة و بعيدة عن بعضها البعض الى حدٍ كبير، فأحد الساكنين (رفيق الجايجي) الذي كان يرتزق من مقهى الشاي الموجود داخل مركز المدينة،كذلك يتميز بأنه رجل ظريف و محبوب و حلو المعشر، استطاع بهذه العلاقات الاجتماعية أن يكون قريبا من قلوب الجميع، بالذات عندما كان يبدأ بزياراته المسائية المكوكية الى سكان المنطقة التي كانت تضم (رحمان الباجه جي و عبد الرحمن الاسكافي و الحاج حسين و المحتال عباس و هذا الاخير (أي عباس) الذي كان يتصف بضخامة الجسد و طول القامة مع بطن بارز، هذا بالاضافة الى اسلوبه المرواغ و الماكر و اللعب على الحبلين، من اجل الوصول الى هدفه عن طريق التحايل و الاساليب الشيطانية المكشوفة للجميع، لهذا تم تسميته ب (عباس المحتال) !

كنت في مرحلة أول متوسط من الدراسة، عندما تحولنا الى هذه المنطقة،حيث كنت استمع الى الاحاديث التي كانت تدور ليليا، وكان محورها الاساسي المحتال (عباس) بحيث غطى على باقي الأسماء الموجودين،لذلك ترى الكل يسردون ما يقوم به هذا المراوغ، من مساوىء و ممارسات شائنة و بطرق ملتوية.

هذه المنطقة كانت تغط في ظلام دامس ليلا، بسبب عدم وصول الكهرباء اليها، لذلك ترى (رفيق الجايجي) ينطلق كل ليلة في زياراته المعتادة و هو يمسك بيده (الفانوس النفطي) في ظل الظلام، مع دخوله الى بيتنا، كان يستهل حديثه مباشرة باسم (عباس المحتال) و ما أرتكبه من غش و خداع و تزوير و

زيف، أي كل ما يتعلق بالسلوك الشائن و عمل مخجل، في تلك المرحلة كنا مازلنا اطفال و لا نستوعب تماما ما يقال حول هذا الموضوع، أي اننا نستمع فقط الى ما يتم سرده من احداث يومية و مفارقاتها الغريبة و الطريفة، لكن الذي كان يثير نظري، هو انني لم أجد احدا من الجيران قد عبر عن رضاه تجاه هذا الثعلب الماكر، حاولت أن أعرف شيئا عنها، لكن دون جدوى، سيما و أن والدي كان يكلفني ببعض الاعمال ويحرمني من الاستماع و متابعة مجريات الحديث بين الجالسين، أي لم أستطيع الاستماع الى قصة الاحداث بشكل كامل و الى اين تصل نهاياتها، حتى أن احداث و مفارقات (عباس المحتال) كانت تبدو و كأنها مقسمة فيما بين الجالسين في هذه الجلسات الليلية المعتادة.

فمثلا أن دور (رفيق الجايجي) محصور بذكر اسم المحتال (عباس) فقط لكي يستفز افكار الحضور ثم الدخول الى موضوع الجلسة، لا بل بعض الاحيان لايجدون شيئا جديدا ليصبح محورا بديلا لما يتم التطرق اليه ، لذلك تجد (مام رفيق) يرخي رأسه ويهزه مستغربا و هو يردد (لعن الله الشيطان الرجيم و معه هذا اللعين!) أحلفكم بالله أن تبتعدوا عن سرد ذنوب هذا المحتال التي تزداد يوما بعد يوم، بحيث يمكن اعتباره شيطانا و بلاء كبيرا، لكن عباس المحتال لا يشارك ليليا في هذه الجلسات المسائية، لأنه كان يتعب خلال النهار و ينشغل باعماله المعتادة، لكن اذا صادف و كان لديه عملا مهما ولا يريد كشفه أو يريد القيام بلعبة و سيناريو احتيالي، ستراه يبتعد عن اهل المنطقة، لكن مع ظهوره امام الناس ستراهم يلعنونه قائلين:

–يا ستار، يا ترى ماذا يخفي في جعبته المريبة! ! لكن الذي جذب نظري كثيرا، هو صمت الاسطة عبد الرحمن الأسكافي في هذه الجلسات، سيما و أنه كان صانعا لدى عباس المحتال قبل ممارسة مهنته الحالية، أي ممارسة مهنة الاسكافي و صناعة الحذاء القطني، حيث كان يتصف بالهدوء و الصمت، بالذات في الجلسات الليلية المعتادة، اذ ستراه يستمع فقط الى الأحاديث في صمت تام،أي بدون أن يتدخل في الحديث، انه يمارس مهنته الحالية منذ فترة طويلة،

لكن تجد عبدالرحمن يرتبك، عندما يأتي الحديث الى عباس المحتال، اذ تراه يهز رأسه متأثرا بممارسات هذا المحتال و يقول:

– أنا اتحمل ذنب هذه الخطيئة، لأنه كان من المفروض أن أعرفه جيدا و عدم الأستمرار معه ! !

و فجأة وقع (رفيق الجايجي) في الضحك قائلا:

–ألله يسامحكم، اذ بدون وجودكم، لا يمكننا تحمل وجود هذا المحتال! ليس بعيدا عليه أن يبيع الجميع في مزاد علني. ان هذه الجلسات و الاحاديث كانت تتكرر ليليا، لتكون شيئا اعتياديا و تعودنا عليها، خصوصا سرد قصة المكائد و السيناريوهات التي يقوم بها هذا المحتال المثير.

صادف في مساء احدى الايام، أن يتجمع سكان الحي في حديقة بيتنا و كانوا يتحدثون عن احداث و شؤون الحياة اليومية، تفاجئوا بدخول المحتال (عباس) و بيده ورقة بيضاء و (آلة الختم)، حيث بدأ بالحديث و هو يضحك، قائلا: لتعرفوا بأنني أحاول أنقاذكم من المبلغ الذي تدفعونه للمختار! ! عندما سمعوا هذا الحديث الغريب وقعوا في حالة الذهول والحيرة، باعتباره جاء من شخص محتال و لا يمكن الوثوق به أبدا، أحدهم بادر و هو ما يزال تحت تأثير الذهول:

–انها لعبة احتيال جديدة، ينفذها هذا المحتال ! !

وضع الورقة البيضاء على المنضدة و بدأ يتحدث عن واجبات المختار و ماهي فائدة هذه الوظيفة، سيما فائدته لسكان الحي، مع انني في تلك الفترة لم أعرف ما هو تعريف مفردة (المختار) و توضيح هذه الوظيفة للضيوف و هل له جدوى حقيقي، ليصل الى أدق دقائق واجب المختار، و ما هو واجبه الحقيقي من الناحية القانونية و الامنية، لقد كان (المحتال) يظهر و كأنه يؤدي دورا في تمثيلية مكشوفة للجميع، حيث كان يثرثر مثل (الببغاء) الذي لا يعرف الملل و مستمر في مناوراته الخبيثة، حيث كان يحاول السيطرة على احاسيس الناس، ثم تحول الى الجانب الاقتصادي و ما هو فائدته للفقراء الذين يدفعون مبلغا معينا للمختار عند اجراء المعاملات الرسمية، و هو يقول:

–ان الناس فقراء و يحتاجون المساعدة، اذ كما هو معروف لدى الجميع بأن المختار فاقد للضمير و الرحمة و يستغل أوضاع شريحة الفقراء، على الخصوص عند مراجعته و زيارته لأجل ختم أية معاملة رسمية، اذ يجب دفع خمسة دنانير مقدما ! ! مع أن هناك عوائل تعتمد على هذا المبلغ في حياتها اليومية!

أقترب أكثر و هو منسجم تماما مع الضيوف و ألتفت الى (رفيق الجايجي) قائلا: هل تتفق معي حول ما أقوله؟ يا ترى هل هناك ممن لا يحتاج المختار عند اجراء معاملات التعيين الرسمي في الدوائر أو اجراء معاملات الخدمة العسكرية و اصدار هوية الاحوال المدنية و الجنسية و الزواج و اصدار الوكالات التجارية و السفر الى الخارج و شهادة الوفاة و كل المسائل التي لها علاقة مباشرة بحياة المواطنين، يجب تصديق هذه المعاملات الرسمية من قبل المختار مقابل مبلغ خمسة دنانير،أي لا يمكن اجراء أية معاملة بسيطة بدون مراجعة المختار الذي يعتبر المستفيد الاول و بالذات من الناحية المالية، طيب لو تم جمع الاموال التي يستحصلها المختار، سنجد أن هناك مبلغ كبير؟

جميع المتواجدين أجابوا بصوت واحد:

–أشهد ما بالله تقول الصواب وكلامك صحيح

تدخل رحمان الباجه جي قائلا:

–مثلا أنا اليوم دفعت خمسة دنانير الى (مام فتحي) مختار الحي، و ذلك من اجل اكمال معاملة دفتر الخدمة العسكرية المطلوبة من ابني.

أجاب رفيق الجايجي و الابتسامة الخبيثة ترتسم على وجهه قائلا:

لماذا لا تقول الحقيقة بأنك قد دفعت عشرة دنانير الى هذا الأنتهازي المستغل بدلا من خمسة دنانير الاعتيادية، وذلك لأجل اصدار اجازة الدكان.

والدي شاركهم الحديث قائلا:

–لماذا لا تتحدثون عني ايضا، حيث لا يمر سنة و احدة بدون أن أراجع المختار و أدفع نصيبي من الضريبة الاستغلالية (خمسة دنانير) للمختار.

–كان الثعلب عباس قد أبدى سعادته بهذا الحديث الذي يتطابق مع طروحاته الخبيثة، التي كانت تترافق مع ضحكته المريبة الذي بادر الى القول:

–ما هو رأيكم بما أفكر فيه و انقاذكم من ضريبة المختار (الخمسة دنانير)بحيث ستجدون أنفسكم و أولادكم و احفادكم لا تدفعون أية فلس،أي يمكنكم أكمال و تمشية معاملاتكم الرسمية اليومية بسلاسة و سهولة تامة؟!

الجميع قالوا:

- و هل هناك بيننا ممن لا يحب مثل هذه الخطوة الايجابية؟

تقدم رفيق الجايجي من والدي و همس في اذنه بصوت منخفض، بعد ذلك همس في أذن رحمن الباجه جي ايضا!!

الأسطة عبدالرحمن الأسكافي كان ينظر الى الحضور متفحصا وجوههم و ردود افعالهم حول ما يطرح من افكار و مقترحات من قبل المحتال (عباس) الذي يبدو أنه لم يفهم أي شيء من الهمسات الثنائية و كان يضحك فقط.

أخرج المحتال (آلة الختم – البصمة) من جيبه و وضعه أمام الضيوف، فوضع بصمة أصبعه على الورقة ثم ختمه و قال:

–لا تخافوا أبدا، كونوا على ثقة مما أقوم به و لا تشككوا بأي شيء بهذا الصدد، ها أنا قد بادرت و قمت بتصديق المعاملة وأتمنى أن تبادروا أنتم ايضا و أستعينوا بالله، قدموا معاملاتكم من اجل تصديقه و ختمه، تأكدوا بأنني بعد اسبوع واحد فقط ستجدونني مختارا لهذا الحي و سأقوم بتمشية معاملاتكم مجانا و بدون أي مقابل، لهذا لا داعي للبحث عن المختار من الآن فصاعدا، اذ سأقوم بزيارتكم جميعا مساء كل يوم وتنفيذ متطلباتكم وما تحتاجونه، و في حال سفري سأضع (ختم التصديق) لدى أحدكم!!

لكن مع هذا، كان الجميع في حالة ريبة وشك من هذا المحتال و ما يقوم به من أعمال وسلوكيات غير قانونية، لهذا لم يبادر أحدهم و يضع بصمة التصديق!!

قال رفيق الجايجي و هو يمزح:

–أخاف أن يقوم عباس بتأسيس حزب و يضعنا في موقف محرج و نتورط في مشاريعه المشبوهة ! !

رحمن الباجه جي بادر قائلا:

–أنها ليست مسألة معقدة و صعبة الى هذا الحد، لذلك أقترح أن يقوم أحدنا بقراءتها، لكي نعرف محتواها، ثم نقوم بختمها بأصابعنا.

بأستثنائي أنا الذي كان بأمكاني القراءة و الكتابة بين المتواجدين، لذلك نادوني و سلموني القائمة، و بدأت بقراءته بدقة، و يبدو أن المحتال قد طرزه و نقشه بالكثير من الاكاذيب و المفردات البراقة التي تؤثر على هؤلاء البسطاء و المساكين، ثم قام بوضع صف من الاسماء الوهمية و اعتبرهم من سكان حي المفتي ! ! مع أنها اسماء ليس لها أي علاقة بهذا الحي و سكانه.. رفيق الجايجي ألتفت الى سكان الحي، قال و هو يضحك:

–أنا لا أفهم أي شيء من أعمال (عباس) و عقلي لا يستوعبه، انه يأخذنا في عدة اتجاهات و تفسيرات، توجسي وقلقي وصل الى حد أننا قد نفقد كل شيء ! !

هنا ألتفت رحمن الباجه جي و هو يبتسم، فقال:

–يبدو اننا لم نستفيد من تجارب ألاعيب و احتيالات هذا المحتال و لا نأخذ منها الدروس و العبر،الى متى أيها الأخوة؟! يبدو لي أنه يريد توريطنا في مشكلة معقدة جدا.

–ألتفت والدي الى الأسطة عبدالرحمن الأسكافي و قال:

–ما هو رأيك يا أسطة عبدالرحمن؟

كالعادة وضع الأسطة أصبعه في فمه و بين أسنانه و ضغط عليه قائلا:

–أنا أعض أصبعي عضة قوية، لكي لا أنسى و أتعظ من التجارب السابقة، لذلك أقول (التوبة) و لن أكرر أخطائي أبدا ! ! ان الحياة مليئة بالكثير من المطبات و التعرجات الصعبة و على الانسان أن يستفيد من تجاربها المريرة، و بالاخص مع وجود أشخاص غشاشين و لا يمكن الوثوق بهم، من أمثال(عباس المحتال) ! !

تصوروا حتى و لو نزل الوحي من السماء على (عباس) فانني لن أثق به و سأحاول أن أبتعد عنه، خصوصا و انني مازلت أعاني من جروحي السابقة و لن أحتمل جرحا جديدا.

رفيق الجايجي ألتفت الى الأسطة عبدالرحمن و قال له و هو يمزح:

–بالله عليك أسرد لنا قصتك معه و كيف استطاع أن يخدعك باسلوبه الماكر؟!

الأسطة عبدالرحمن هز رأسه تحت تأثير تجاربه السابقة مع هذا المحتال قائلا:

–لعنة الله على الشيطان الرجيم، أرجوك يا رفيق يكفي و أتركني و شأني، رجاء انني نسيت آلام و جرح الماضي!!

تضايق الثعلب عباس من حديث رفيق الجايجي الذي أزعجه كثيرا، نهض وهو مستاء، اراد الخروج وقال:

–لماذا هذا الأصرار على تكرار هذه العبارات المزعجة و تلوكه مثل العلك في فمك، يبدو انها اصبحت مثل قصة (عنتر) التي ليست لها نهاية، ماذا جرى لك يا رجل؟!

هنا تدخل عبدالرحمن الباجه جي و معه والدي، حيث أنضموا الى رفيق الجايجي، بدأ الرجاء والتوسلات و التضرع باسم الله، اخيرا خضع الأسطة عبدالرحمن الأسكافي لهم وبدأ الحديث عن الحكايات و الاحداث القديمة التي يتم تكرارها دائما وفات عليه الزمن.. و أنا من جانبي فتحت أذني لما أسمعه من أحاديث مثيرة، حيث كنت أجد فيها الكثير من اللذة وأحاول متابعة قصة هذا المحتال العجيب من كل النواحي.. في هذه اللحظات ألتفت الأسطة عبدالرحمن الأسكافي الى الضيوف قائلا:

–لماذا تستفزونني و اضطر الى قول كل شيء؟ انتم كنتم على علم تام حول كيف خدعني هذا المحتال و كيف استطاع استغلال أموالي أنا، من أجل اكمال بناء داره!! لقد ربطني بالدكان بطريقة شيطانية و اظهار نفسه بأنه انسان شهم و يتعامل معي بانسانية ويساعدني على اكمال بناء داري مع داره،منها القيام بأعمال رش البناء الجديد بالماء وجلب العمال وشراء مواد

البناء ويضعها على كاهله، أي انه يريد تخليصي من هذه الأعباء، بالتالي التفرغ للدكان، وكيف لي أن أعلم بأن هذا ثعلب وابن حرام و لا يخاف الله، أي يريد استغلال ثقتي به، بحيث استطاع اكمال بناء داره، من خلال استغلال مواد بنائي و أموالي، لا بل كان يدفع أجور العمال اليومية من اموالي أنا، لذلك أن لا أعاتبه هو، انه ذنبي أنا شخصيا و وضعت ثقتي كاملة به، و هل من المعقول أن يكون هناك انسان لم يمر و لو مرة واحدة على الدار التي يقوم ببناءها و زيارتها،لأجل معرفة كيف تسير أمور البناء؟ لاسيما في ظل اشراف انسان محتال فاقد للضمير الانساني! ! لكني لم أجد رجلا شهما وطاهرا لكي اعتمد عليه، لكي أتفرغ للدكان و أنا مطمئن تماما.

رفيق الجايجي تدخل و هو يبتسم ابتسامة خبيثة قائلا:

–لكن السؤال هنا يطرح نفسه: لماذا هذا الأصرار على البقاء كجيران مع هذا الخبيث و لم يبع داره و بقي بجانبه؟ يا ترى ألا يخاف من أن يحتال عليه و توريطه مرة أخرى؟

هنا وجدنا الأسطى عبدالرحمن الأسكافي يهز رأسه و هو مندهش تماما وقال:

– لو كنت يقظا من البداية وعرفت بأن هذا المحتال لا يرحم أحدا من أصداقاءه و لا يستطيع التخلي عن الخيانة و الغش و الاحتيال و يخونني! ! لذلك أخذت قرارا نهائيا وأبتعدت عنه، لا بل سأبيع داري الذي يجاور دار هذا السارق، لكن آه انني عاجز عن المبادرة، بسبب ثرثرتكم غير المجدية ، لقد جعلتم من قصة هذا الرجل الخبيث وكأنه حكاية (عنتر و عبلة) لاسيما و أن الجميع يعرف ألاعيب و مراوغات هذا الرجل الشاذ، وما يمارسه من غش و سرقة،لذلك ليس غريبا أن تجد أي مشتري لداري، يتراجع عندما يعرف بأن المحتال (عباس) جيراني! !

أقترب عباس المحتال من الأسطه عبدالرحمن الأسكافي و أحتضنه و قام بتقبيله، واضعا يده على كتفه قائلا:

–أرجوك لا تستمع الى ما يقوله هؤلاء، يجب أن تعرف بأنهم كانوا السبب في تخريب العلاقات فيما بيننا، يجب أن تعرف باننا أخوة و لا فرق بيننا، نحن لم نختلف على تقسيم أموالنا، ثق وبمقدساتي أحاول دائما أن أكون أخا مخلصا لك، أنا احبك و لك مكانة كبيرة في قلبي، باعتبارك جاري العزيز، و ذلك بالاعتماد على حديث النبي الذي يؤكد على مدى أهمية تمتين العلاقات مع الجيران، أي عدم الانعزال عن الناس،، فأنا اعتمد على تمتين العلاقات بيننا، صحيح عندي أهل و أقارب، لكنني اعتمد عليكم ولا استطيع الاستغناء عنكم، لذلك أقترح عليك أن ننسى الماضي و كل سلبياته و نفتح صفحة جديدة، تأكد بأنك ستكون أكثر من أخ بالنسبة لي، فوجودك بجانبي جعلني أكثر سرورا و اطمئنانا.

جلب الورقة و وضعها امام عبدالرحمن الاسكافي، ثم قال و هو يضحك:

–أتمنى أن تلعن الشيطان و تضع بصمة أصبعك على الورقة، قسما بالله سأحاول أن أجعلك نائبا لي، و لك مطلق الحرية في حال غيابي، أي أن تكون على علم بالوارد المالي، و ذلك اعتبارا من الفلس الى الألف دينار، اذ سأعتبره حلالا عليك! !

في هذه اللحظة قام عبدالرحمن الاسكافي و هو غاضب جدا بقذف الورقة وقال:

–يبدو أنه لم يجد سوى هذا (الكلاو) وتمريره علينا كسيناريو للقيام بتنفيذ عملية احتيال جديدة ، لذلك أقول لك: يكفي كلاوات و سرقة يا عباس المحتال ! !

رفيق الجايجي ألتفت الى الحضور قائلا:

–لماذا نلوث أنفسنا بهذا المحتال و الاساءة الى سمعتنا، ها قد تم قراءة هذه الورقة و كشف محتواها الحقيقي و أهدافها الخبيثة .. هنا تدخل رحمان الباجه جي و ألتفت الى رفيق قائلا:

–انتم مشغولين بالحديث و لم تتمكنوا من مراقبته، أي لم يقرأ الورقة كلها و يكشف محتواها، أنا كنت أراقبه بدقة ! !

ثم ألتفت رفيق الجايجي نحوي وقال:

–أنت اقرأ الورقة كاملة و نحن سنستمع اليك

هذه المرة قرأت لهم الورقة (من الألف الى الياء) و لم أترك شيئا، حتى انني قرأت الذي كنت أعرف بأنه كذب و بعيد عن الحقيقة، فهذه الورقة كانت عبارة عن طلب و يتضمن قائمة طويلة من العناوين و الاسماء، باعتبار أن هؤلاء هم من سكان حي المفتي و يطلبون قطع علاقتهم باحياء (الاسكان) و (الجمهورية) و ألحاقهم بحي المفتي، كذلك يطلبون تعيين (عباس) مختارا لهذا الحي، لأنه يتصف بمجموعة من الصفات و السلوكيات الاخلاقيات الحميدة، بما فيها الذكاء و الصدق ونزاهة هذا الانسان، فهذه الكلمات و الصفات الايجابية الملصقة قسرا بهذا المحتال أثارت ضحكي و أستهجاني الكبير، حتى انني و من شدة تأثري وصلت الى حد أن أفقد صبري و هدوئي، فكل ما تم كتابته كانت غريبة جدا و بعيدة عن الواقع الحقيقي و تثير سخرية كل من يعرف هذا المحتال، حتى أنه اثار ضحك هذا الانسان البسيط (الأسطة عبدالرحمن)، لقد قام برسم السيناريو الجديد بذكاء و بدون أي خوف، وضع في آخر القائمة، بعد أن وضع اسماء العوائل الخمسة التي تسكن حقا في هذا الحي في آخر القائمة! !

استمر رفيق الجايجي في مداخلاته المثيرة و هو يضحك قائلا:

–يا جماعة أنتم تعرفون بأنني (أمي و لا أعرف القراءة و الكتابة) أي انني سمعت مثلكم ما قام به هذا المحتال، بالاخص كيفية أدخال أسماء مجهولة في القائمة، ويعني أنهم ليسوا من سكان حي المفتي؟!

من جهة أخرى أستمر رحمان الباجه جي في التوضيح قائلا:

–تصوروا اصرار عباس على القائمة المشكوكة التي نظمها، رغم علمه بأن عدد العوائل في الحي لا يتجاوز (ست عوائل فقط)، لقد غامر و أدخل اكثر من مئة اسم مجهول! ! و يبدو أنه لا يخاف من كشف هذه المسألة؟ أم هناك ممن يسانده و يدعمه؟

رغم ذلك وجدنا عباس المحتال لا يبالي الى ما سمعه من الحضور حول مخالفاته القانونية، وبدأ بالضحك بصوت عال و قال:

–يبدو أنكم لا تعرفونني جيدا لحد الآن؟! أنا مجبر على اتخاذ هذه الطريقة الملتوية و الالتفاف عليكم بطريقة لا يعجبكم، وذلك من اجل أن أكون مختارا لهذا الحي؟! انني اعرف موقفكم مني شخصيا، أي لا يمكنني الاعتماد عليكم لكي أحقق هدفي؟!

ان المعروف عن عباس بأنه انسان متملق و يتصف باسلوب مؤثر ويستطيع أن يخدع بواسطة لسانه الناعم، لا بل يستطيع منافسة الشيطان في هذا المجال، لا بل خداعه ايضا؟! لقد نجح هذه المرة ايضا، أي التأثير على جميع الحضور و الحصول على موافقتهم، بالتالي التوجه الى أن يبصموا بأصابعهم، لكن بأستثاء الأسطة عبدالرحمن الاسكافي الذي رفض أن يبصم للمحتال وعدم تكرار خطأ الماضي قائلا:

–لقد أقسمت بالله العظيم أن لا أرافق عباس حتى الى (الجنة)أيضا و أرفض التعامل معه؟!أي عدم تكرار تجاربي المريرة مع هذا المحتال الخطير! !

عباس المحتال يصبح مختارا للحي؟!

لم يمر سوى ايام معدودة، حتى وجدنا على باب الدار عبارة مكتوبة بخط بارز (منزل عباس المحتال، مختار حي المفتي) و مع ذلك اليوم الذي اصبح مختارا،أختفى تماما و لم يراه أحد و هو يدخل أي بيت من بيوت الحي! ! ففي احدى الليالي تم تنظيم اجتماع مع اهل منطقتنا في بيتنا بتواجد رفيق الجايجي، فكروا باجراء زيارة الى عباس المحتال مختار الحي الجديد، حيث قام الاطراف الخمسة الموجودة في الحي، بزيارة عباس، كانت كل النظرات ركزت على عباس و يتفحصون ملامحه التي كانت تثير قلق الحضور، كان المختار و عويناته البيضاء الصحية، و هو مشغول بمجموعة من الاوراق البيضاء والفايلات الملونة التي وضعها أمامه، لقد كان مشغولا بتدوين ملاحظاته على الاوراق.. ألتفت رفيق الجايجي الى (عباس) قائلا:

-كاكه عباس أرجو أن لا تنسى جماعتك و وعودك التي كنت تتحدث عنها سابقا أمامنا، قبل أن تصبح مختارا للحي، و نتمنى أن تعرف لماذا نحن هنا متجمعون؟

لكن عباس الذي كان قد أخذ موقف التجاهل و غير مبالي لما سمعه لحد الآن من الضيوف، لقد كان ينظر الى الحضور بطرف عينه،حاول النظر من تحت عويناته الى رفيق الجايجي و قال:

–ما الأمر و هل هناك شيء، و لماذا أنتم متجمعون هنا؟

أجاب رحمن الباجه جي قائلا:

–ألا تعلم بأننا جئنا من أجل تقديم التهاني لك بمناسبة تعيينك مختارا لهذا الحي!

أجاب و الابتسامة الخبيثة مرتسمة على وجهه قائلا:

–أشكركم و اهلا بكم

كان الضيوف منشغلون بالحديث فيما بينهم في ظل الهرج و المرج، ثم بدأ الحديث فيما بين الضيوف بهمسات و صوت خفي.

ألتفت رفيق الجايجي الى عباس و بدأ يتحدث بجرأة و بدون أي خجل قائلا:

–يبدو أنه لديك أصرار على تجاهلنا و أهمالنا!! يا ترى ماذا ستفعل بنا مع مرور الايام، أي كيف ستتعامل معنا في المستقبل؟!

بادر عباس المحتال الى وضع الأوراق على جانب و حاول الاقتراب منهم مستعملا اسلوبه الثعلبي، وذلك من خلال التملق و لسانه الناعم قائلا:

–أستغفرالله، أنا أعتبركم أخوتي ولكم مكانة كبيرة لدينا، لكن يجب أن تعرفوا، بأنه منذ ذلك اليوم الذي اصبحت فيه مختارا لهذا الحي، و أنا منشغل تماما بأمور و مشاكل الحي و كيفية تنظيم الشؤون الاساسية، لقد نظمت فايلا شخصيا للجميع، ثم هز كتفه مع اظهار حالة التكبر و بعض الكبرياء قائلا:

–لم يشهد هذا الحي أي اهتمام لحد الآن و تم تهميشه، لذلك نرى السكان محرومون من الكهرباء والماء، و مع مجيء فصل الشتاء و الامطار سيعاني

السكان من تجمع المياه و صعوبة المشي على الوحل في جو شتائي، لذلك قررت و اعتبارا من الغد، أن أهتم بهذه الشؤون و الخدمات العامة التي تخص حياة السكان الاساسية، لا بل تسهيلها.

استطاع بهذه الاحاديث العسلية المؤثرة على اعماقنا، أن يؤثر على الحضور، لا بل أن يشعروا بالخجل و الاستحياء، لقد كانوا ينظرون الى بعضهم البعض وقالوا:

–أشهد ما بالله، يبدو أننا قد فهمنا هذا الرجل بشكل خاطيء!! انه رجل صادق و يريد خدمة الحي و سكانه و تأمين احتياجاتها الاساسية

لقد قضى هؤلاء السذج و البسطاء ليلتهم بالحديث عن مشاريع عباس الثعلب و هل يا ترى سيقوم بأنجازها بجدية.

عباس المحتال،يجلب الأعمدة الكهربائية الى الحي

بعد مرور عدة أيام، بدأ وصول الأعمدة الكهربائية الى منطقتنا و توزيعها في أزقة و شوارع الحي، ثم ظهر مجموعة من العمال مع أدوات العمل و أنشغلوا باعمال الحفر في الشوارع، لذلك بدأ أهل الحي يتجمعون مرة أخرى من أجل أن يمدحوا عباس المحتال و توجيه الشكر له!! فترى كل واحد منهم يمجد و يمدح عباس المحتال على طريقته الخاصة و يوجه الأطراء الكبير لما قام به خلال ايام من استلامه منصب مختار الحي، باعتبار أنه يريد انجاز و تحقيق ما كان يتحدث عنه سابقا، من مشاريع خدمية و حياتية، لكن كانوا يرون الأسطة عبدالرحمن الأسكافي يهز رأسه ويبدي أندهاشه و حيرته لما يراه من مواقف عجيبة، من سكان الحي قائلا:

–لدي شك كبير بهذا السيناريو الجديد و أحس بأن هناك لعبة جديد أخرى، يقف وراءه هذا المحتال و المختار الجديد (عباس المحتال) باعتباره

ليس الشخص المثالي و الصادق الذي يمكن الاعتماد عليه، بحيث أن تجبره على أن يتنازل عن تحقيق طموحاته الشخصية و الاحتيال و يضع مسألة انجاز اعمال وشؤون الحي على جانب، اذ لا يقوم بأي خطوة بدون أن يحقق مصالحه، حتى و لو عن طريق المراوغات والالتفاف على أماني و اهداف السكان البسطاء، لذلك أنا مندهش من موقف اهل الحي و كيف انهم يثقون بالنوايا الخفية لهذا الثعلب الماكر و يتأكدوا من أنه لا يريد خداعهم و الالتفاف عليهم؟! و لا أحد يعرف لحد الآن عن ماذا يبحث هذا المحتال الخبيث!!

تدخل رفيق الجايجي قائلا:

–أنه من قدرة و رحمة الله فقط، حيث ليس من المستبعد أن يكون قد تغير وتحسن وضعه بقدرة القادر عزه و جل، لذلك ليس غريبا أن يقال: ألف ذنب و توبة واحدة تكفي!

الحاج حسين صاح بصوت عال قائلا:

–اللعنة على الشيطان، أنا كنت متأكدا و على يقين تام، بأن (التوبة و طلب المغفرة من الله) لا ينسجم مع اخلاقيات و سلوكيات هذا (الأبليس) اللعين!

و بينما كان الحضور منشغلين بحديثهم، وصل عباس المحتال الى المكان و وضع قائمة طويلة أمامهم، قائلا:

–أنظروا كيف استطعت أنجاز عمل مميز!

–ثم قالوا: تصور يا مختار كنا نتحدث عنك قبل قليل، أشهد ما بالله أنه عمل جبار،أي أن رؤية الهلال بالعين المجردة، لا يحتاج الاشارة اليه بأصابعنا!

أخرج عباس المختار القلم من جيبه و سلمه لي قائلا:

–ابني، استلم مبلغ عشرة دنانير من كل شخص و ضع اشارة مقابل كل اسم؟!

اندهش الحضور و ذهلوا مما سمعوه وقالوا بصوت واحد:

–مبلغ عشرة دنانير مقابل ماذا يا عباس أفندي؟!

أجاب قائلا:

–ألا ترون بأن هناك عمال يعملون على حسابي أنا، وذلك من اجل تثبيت اعمدة الكهرباء في شوارع الحي؟

في تلك اللحظات ظهر القلق عليهم و أصبحوا في حيرة من أمرهم، حاولوا ابداء موقف حازم تجاه هذه التصرفات الغريبة، لكنهم أحسوا لا فائدة من التحرك و سلموا أمرهم الى الله وقالوا: أنه من الشيء الجيد أن نتخلص من مشكلة الكهرباء مقابل عشرة دنانير، لذلك مدوا أيديهم الى جيوبهم و اخرج كل واحد منهم عشرة دنانير و وقعوا امام أسماءهم؟!

بعد مضى عدة أيام، لم يبقى أحد بالقرب من الاعمدة الكهربائية و أختفوا تماما!!لا بل بقيت الحفر كما هي و اصبحت مكانا لتجمع اطفال الحي و اللعب فيها؟!

استطاع والدي الوصول الى دائرة الكهرباء وألتقى مع السيد المدير و قال له:

–تم حفر هذه الحفرة و دفعنا مبلغ عشرة دنانير و نحن قريبون من رأس الشهر و مفلسين، لكن مع هذا،تم ترك الاعمدة الكهربائية في مكانها و لم نجد أحد يقترب منها!!

السيد المدير يندهش من حديث والدي وقال:

–كيف يحدث مثل هذا الشيء الغريب، لأنه أنا الذي قمت بصرف أجور العمال من ميزانية الدائرة و دفعته بيدي شخصيا!! لذلك عاد والدي الى البيت و هو في حالة غضب شديد، بعد ما سمعه من السيد مديرالكهرباء، بعد عودته الى البيت حاول والدي السيطرة على نفسه،لكن دون جدوى،و لم يستقر في مكان ما و كان في حالة الذهاب و الاياب في الغرفة،لقد كان يتجه نحو فقدان السيطرة على نفسه و اعصابه، لا بل كان يتحدث مع نفسه قائلا:

–يبدو أن هذا اللص و المخادع لا يشبع أبدا! ها قد ثبت لنا بأنه قام بجلب هؤلاء العمال على حساب ميزانية الدائرة!! و بينما السكان دفعوا مبلغ عشرة دنانير لهذا المحتال بذريعة دفع اجور العمال!! وبينما هو مايزال تحت تأثير التحدث مع نفسه، وجدته ينطلق نحو الخارج و قال:

–الآن سأذهب أليه و سأشبعه ضربا لكي يتأدب ونضع حدا له، خصوصا واننا قد وافقنا على تعينه مختارا للحي، من اجل مساعدتنا و ليس سرقتنا ! !

لكن يبدو ان الحديث مع عباس المحتال،لا جدوى منه و لن يكون له التأثير و من الصعب أن يتغير، باعتباره قد خاض مثل هذه التجارب سابقا و خرج منها سالما ! !

بعد مضي ساعة واحدة، عاد والدي مع عباس المحتال و دخلوا الى الغرفة وهما يضحكان و كأنه لم يحدث أي شيء ! ! سبحان الله القادر على كل شيء، ثم تبعهما بالدخول (رحمن الباجه جي والحاج حسين ورفيق الجايجي) الذين بادروا و مدوا أيديهم الى جيوبهم الداخلية ودفع كل واحد منهم (ثمانية دنانير) اضافية الى الثعلب (عباس) بدون أن يطلب منهم ذلك؟ !

من هنا ظهر مدى سذاجة سكان الحي الذين لا يستفيدون من دروس و ألاعيب هذا المحتال الساحر! ! انهم مصرون على خوض تجربة الوقوع في مصيدة سرقات (عباس المحتال) رغم مرارتها و متأكدين بأنه عملية سرقة و احتيال جديدة لا أكثر، لكن الغريب، هو عندما خرج والدي من البيت و هو في حالة غضب شديد، لكنه عاد و كأنه لم يحدث أي شيء ! لقد كنت اعتقد بأنه ستحصل اشتباك كبير مع عباس، لا بل كنت أتوقع بحدوث هرج و مرج في زقاقنا، لكن كانت المفاجئة في أن يرتخوا امام سحر هذا الساحر المثير و سلموا أنفسهم له كالعادة، أي دفعوا المبلغ المطلوب بهدوء ! ! لا بل أصروا على توجيه المديح و الثناء لهذا الساحر الخبيث و كما كان يحدث في السابق،قائلين له:

– بدون جهودكم لا نجد الماء في بيوتنا، بذلك أثبت عباس مدى قوة شخصيته و تأثيره على سكان هذا الحي، و هو يقول:

–بعد تأمين الماء لكم، سأقوم بتوصيل الكهرباءايضا و بجهودي الشخصية؟ !

عباس المحتال و توصيل الماء الى الحي

بعد أن دفع سكان الحي (ثمانية دنانير اضافية) الى عباس المحتال، من اجل حفر خطوط أنابيب المياه الى الحي، أي انهم الآن في حالة انتظار الانجاز من قبل المختار عباس و توصيل الماء الى بيوتهم، لكن الايام تمضي ولا نتائج! ! لقد كانوا يسألون يوميا و بأستمرار عن ما سيحققه عباس، أم أنه سيصبح سرابا كالعادة؟! أي سنجد ما دفعناه من مبالغ تذهب هباء، لا سيما و أنه كان هناك تراجع واضح عن ما هو المكتوب في المضبطة التي وقعوا عليها؟!

يبدو أن مسألة الكهرباء اصبحت درسا بليغا لوالدي، بحيث فقد الثقة بالمختار عباس المحتال،بالذات بعد كشف كيفية تنفيذ مشروع الكهرباء بطرق ملتوية، أي ان والدي حاول قطع الطريق عليه، قبل أن ينفذ سيناريو التحايل، لذلك كان مضطرا الى مراجعة دائرة الماء سريعا، من اجل التأكد من دفع مبلغ (ثمانية دنانير) و مدى قانونيته و كيفية تنفيذ هذا المشروع المهم، بالأخص مسألة الميزانية التي ستخصص لتنفيذ مشروع الماء، لكن مسؤول قسم مشاريع الماء في الدائرة أوضح لوالدي، بأن عباس أكد بأنه استلم هذا المبلغ بناء على موافقة اهل الحي، حيث قال: بأن الدائرة لا تمتلك الميزانية المطلوبة لتنفيذ مشروع الماء و دفع أجور العمال، سيما و أنكم قد أبديتم استعدادكم للمساعدة في المضبطة! !

بعد عدة ايام، بدأ الحفر و تثبيت انابيب الماء، في حين كان السكان يشعرون بالتفاؤل، لابل كانوا يمدحون عباس و يقولون، بأنه مختار نموذجي و ليس له مثيل من بين مختاري المنطقة جميعها، لا بل يؤكدون بأنه لولا جهود عباس لكانوا بقوا على حالهم و ينتظرون قدرة القادر! ! انطلقت عملية الحفر حتى وصولها الى بيت (عباس) و تم تثبيت الانابيب فيها، ثم ربط الانابيب الفرعية، بحيث كان السكان مندهشين بما يتحقق، لا بل أن بيت عباس المحتال

قد تحول الى شبه مسجد، لكنه كان بحاجة الى صف من المرافق الصحية فقط!! لكنها في الحقيقة كانت لعبة جديدة وينفذه هذا الثعلب الماكر، توجه والدي رويدا رويدا الى دائرة الماء، و هناك سألهم عن هذه المسألة، أجابوه: هذا هو طلبكم أنتم و ليس لنا ذنب بهذا الشأن .

مع أن (عباس المحتال) يعتبر رجلا مخادعا و محتالا و ليس مثيل في عملية الخداع و وضع المكائد، وذلك من خلال استغلال الناس البسطاء، لكن مع هذا تمكن من تقديم بعض الانجاز و تقديم الخدمات في فترة قصيرة، منها مسألة توصيل الماء و الكهرباء و تبليط الشوارع.

لكن الذي يثير الاستغراب بأن هناك الكثير ممن أطلق تسمية (حي العباسية) على حي المفتي!! و عندما عرف عباس بأن عدد سكان الحي في أزدياد مع مرور الزمن، بحيث تزداد معها الاعمال و المطالب و الخدمات،لذلك اضطر عباس الى التراجع عن تعهداته السابقة التي اعطاها للسكان، واضعا نظاما جديدا من اجل تنفيذ الاعمال و كيفية استحصال مبالغ مالية من سكان الحي، لقد علق قائمة بالأسماء لهذا الغرض في ديوان الضيافة، كذلك وضع سعرا محددا لكل شكل من اشكال المعاملات وبحسب اهمية العمل و أولويته، لذلك أصبح بأمكانه الحصول على أموال كبيرة،و ذلك من الاشخاص الذين كانوا يطلبون اجازة استيراد وتصدير السلع والمواد من الخارج، كذلك الذين كانوا يتاجرون بالاقمشة، هذا بالاضافة الى اجازة تجارة (بيبسي كولا و سفن آب و تراوبي) لتصل الى الذين لديهم مشروع زواج، حيث يجب عليهم تقديم (علبة من الحلويات مع خمسة دنانير) لا بل حتى توصيلها الى البيت!! أي يجب الدفع أولا، ثم التصديق على المعاملة المطلوبة، هذا بالاضافة الى أن الاسعار كانت تتغير و لم تبقى كما هي، فوصلت الجباية الى اصدار شهادة الوفاة و الولادة!! لذلك يجب أن نقول: ألف رحمة على سارق أكفان الموتى!! أي الاشتياق الى ايام المختار السابق وأعباءه التي كانت خفيفة لو قارناها مع الوضع الحالي، فأصبح السكان يتمنون ايام المختار السابق الذي تم

ابعاده عن مسؤولية الحي، لأنهم لم يتوقعوا مجيء الأسوأ، و المتمثل بالثعلب (عباس المحتال)، خصوصا و أن التصديق كان بخمس دنانير فقط لا أكثر، أما في زمن هذا الثعلب الماكر(عباس) اصبح عشرة دنانير! لذلك ليس غريبا أن نرى تصاعد أصوات الاحتجاج ضد المختار الجديد، ليصل الى انفجار الوضع في أية لحظة، أي لم يتركوه الى أن تم ابعاده عن منصب مختار المحلة و المسؤولية! !

كيف أشترينا أنا و عباس قطعة أرض معا!

عندما كبرت واصبحت شابا ناضجا، أصبح لدي رغبة كبيرة في أن أفهم حقيقة حياة (عباس المحتال) وأعرفه عن قرب، خصوصا بعد ابعاده عن منصب مختار المحلة، فأنشغل هذا الثعلب بعملية بناء الدور السكنية من اجل بيعها،أي تفرغ لها و استطاع شراء معظم القطع السكنية التي كانت شاغرة في الحي، لكي يقوم ببناءها وبيعها بسعر جيد، أي كان يربح منها، علما أن بناء الدار يحتاج جهدا و وقتا كبيرا والتفرغ التام، وذلك من اجل انهاء عملية البناء، اذن كيف سيكون الأمر في بناء الكثير من الدور من قبل شخص واحد و انجاز بناء عدة دور، و كما كان يفعل (عباس المحتال) الذي أثبت مقدرته في هذا المجال الصعب، وذلك بسلاسة و سهولة و بدون أن يظهر عليه التعب و الجزع، لقد كان يركز على بناء اثنين أو ثلاث دور خلال سنة واحدة ثم يبيعها، لكن بناء هذا العدد الكبير من الدور من قبل عباس المحتال، أثر كثيرا على اسم الحي المعروف به (حي المفتي)بحيث ضاع الاسم وأصبحنا نسمع مفردة (حي العباسية)،كذلك كان هناك تعقيدات عملية شراء هذا العدد من قطع الاراضي السكنية من قبل عباس، بحيث جعل الحصول على قطعة واحدة في حي المفتي، من الامور الصعبة و اشعل المنافسة على شراءها، بل في بعض الاحيان وعند الوصول الى اتفاق عملية الشراء، لكن في بعض الاحيان نجد اسم عباس في

اغلبية عملية الشراء و ينافس الجميع! ! لا بل كان يبحث بنفسه عن اصحاب القطع السكنية الشاغرة و يحاول اقناعهم بكل السبل و لا يتركهم حتى الانتهاء من عملية الشراء،اخيرا لجأ الى طريقة أخرى لكي يبعد المشترين عن بعض القطع،لأجل تسهيل الاستحواذ عليها، بعض الاحيان كان يقول بأنه يمتلك هذه القطعة! ! وذلك من خلال الأنشغال باجراءات عملية المسح في بعض القطع،باستعمال المقياس الاعتيادي أو البدائي الذي كان يعتمد على عدد الخطوات، بحيث أن كل من يراه على هذا الحال و هو موجود على قطعة الارض، كان يعتقد بأن عباس صاحبها و اشتراها و يريد بناءها.. أما بالنسبة لي كنت أريد شراء قطعة ارض سكنية في حي المفتي، لكي أكون بالقرب من بيت والدي، كذلك محاولة التعرف على شخصية عباس المحتال عن قرب!

لقد بحثت لفترة طويلة عن قطعة ارض مناسبة، لكن دون جدوى و لم استطيع، بعض الاحيان وعند العثور على أية قطعة ارض، كانوا يقولون هي ملك عباس؟! لكني لم أقتنع بهذا الجواب، أي لا يتقبله العقل أبدا، حيث كنت أشك بأن عباس يمتلك مثل هذا المبلغ الكبير،بحيث أن يتمكن من شراء هذا العدد، وهذا الاعتقاد زرع التفاؤل و الامل في نفسي و حاولت التأكد من هذه المسألة بدقة و مدى صحتها، حتى انني تحدثت مع عباس المحتال حول اذا كان هناك قطعة أرض معروضة للبيع في هذا الحي، لكي نشتريها معا أو لوحدي، بالتالي بناء دار سكني عليها، لكنه كان يقول لي: لا تتعب نفسك و لا تبحث هنا، لأنه لم يبقى أية قطة ارض معروضة للبيع، خصوصا وانني على استعداد تام لشراء ه فورا!

لكني مع هذا لم أثق ابدا و بما كان يقوله حول هذه المسألة، لاسيما عندما لاحظته و هو يتابع بدقة قطعة ارض كانت تقع خلف بيتنا، ولكي يزرع الوهم الذي سيجعل الناس يعتقدوا بأنه يملكها،لذلك كان يلجأ الى حيلة التشاور مع سكان الحي حول افضل خريطة بناء لهذه القطعة بالذات! حقا انه اسلوب شيطاني؟! لذلك كنت أنا و معي اهل المنطقة نعتقد بأن عباس صاحب هذه

القطعة و يريد أن يبني عليها، لكن وجدت المفاجئة اخيرا، عندما رأيت عملية البناء عليها ! ! فعندما سألت صاحب الشأن، أجابني قائلا: لقد عرضت هذه القطعة للبيع قبل اكثر من سنة واحدة، لكن لم أجد أي مشتري، لذلك تراجعت عن بيعها و قررت أن أبني عليها دار سكنية لي !

سألته قائلا: لكن ألم يكن عباس المحتال، هو الذي يمتلك هذه القطعة؟

وجدته يتحسر و سمعت منه تنهيدة فيها الكثير من المرارة و قال:

–لقد قام هذا الخبيث بأبعاد أي مشتري عن هذه القطعة و حطمني تماما ! !

أنا ضحكت و قلت له:

–ألم تعرف ماذا كان هدفه؟

أجابني قائلا:

–طيب أعرف السبب الحقيقي،لكني كنت اعتقد بأنه ستأتي المفاجئة على غفلة من هذا الشيطان، لكي يشتري هذه القطعة، لقد قابلني هذا الثعلب عدة مرات وعرض سعرا منخفضا، يبدو أنه كان يريد أن يأخذه مني هذه القطعة بسعر التراب فقط لا أكثر، لقد حاول كثيرا شراءها بالسعر الذي يريده هو، لكني لم أعلم بأنه يريد منع شراء القطعة و يبعد المشترين لكي لا يجد أي منافس أمامه و يشتريها بسهولة ! !

في ظهيرة أحدى الايام، و عندما كنت راجعا من الدائرة، رأيت عباس المحتال واقفا مع رجل عربي ويتحدث معه، أبطأت وتيرة سيري و فتحت أذني، لكي أسمع ما يدور بينهما من حديث، فأقتربت منهما بحجة السلام عليهما، لاحظت حديثهم و اشاراتهم بواسطة اليد، التي كانت تشير الى الارض الذي يقف عليه عباس مع الرجل العربي، حيث كان يقول: المساحة كبيرة جدا، ولا يمكن شراءها بسهولة بسبب سعرها،حيث يحتاج المشتري الخاص الذي يمتلك هذا المبلغ الكبير، باعتبار أن أغلبية الناس فقراء و الحديث كان يدور حول عشرين دينارا للمتر الواحد، أي أنه ليس بالأمر السهل !

عندما ابتعدت عنهم و توقفت لمتابعتهم خلسة و عن بعد، حتى لحظات انتهاء الحوار بينهما، عندها حاولت اسراع خطوات سيري، لكي أصل الى الرجل العربي الذي كان بيته قريبا من قطعة الارض الشاغرة، أنا تابعته حتى دخوله البيت، ففي الطريق كنت أحاول أن أشغل نفسي في مكاني، بعد عدة دقائق طرقت الباب.. فخرج الرجل و سألني:

–تفضل، ماذا تريد؟

أجبته قائلا:

–لدي معلومات بأنك تمتلك قطعة أرض و معروضة للبيع؟

أجابني قائلا:

–نعم، انه نفس القطعة التي كنت واقفا عليها مع عباس قبل قليل، و أنت كنت مارا من هناك و وجهت السلام لنا، نعم انها ملكي و أعرضها للبيع.

قلت له:

–أنا مشتري و ما هو السعر المطلوب؟

أجاب قائلا:

–لقد دفع عباس المحتال (١٨) دينارا للمتر الواحد، أنت أدفع لي عشرين دينارا و مبارك عليك.

علما انني كنت أبحث منذ أكثر من سنة، عن مثل هذه القطعة السكنية التي تتلائم كثيرا مع رغباتي، أي خلال بحثي الطويل لم أجد سوى المعروض بمبلغ (٣٠) دينارللمتر الواحد، لذلك و عندما سمعت (٢٠) دينارا من الرجل، فرحت كثيرا و كنت أكاد أن لا أصدق ما سمعته، ففي لحظتها كنت أحمل ألف دينار، لذلك لم أتأخر و دفعت المقدمة مباشرة، و قلت له:

–هذا المبلغ يعتبر (مقدمة) و سأدفع الباقي فيما بعد

استلم المبلغ و قال:

–مبارك عليك

في الحقيقة، كان مساحة الارض (٦٠٠) مترا، أي أن مساحتها و فلوسها يتجاوزان كثيرا أمكانياتي المحدودة و لا امتلك هذا المبلغ الكبير، لذلك فكرت في أن أذهب الى عباس المحتال و أجعله شريكا معي.

ذهبت الى عباس و أنا أبتسم، فقلت له:

–منذ فترة طويلة و أنا أبحث بصورة مستمرة عن قطعة ارض سكنية في هذا الحي و سألته قائلا: و ماذا عنك أنت؟

فأجاب:

–و هل يمكن الحصول على قطعة ارض سكنية في هذه المنطقة بالذات؟ ألا ترى انني مثلك ابحث و لم أتوقف،لكن لحد الآن لم أجد شيئا.

فقلت له:

– لو اشتريت اية قطعة ارض في هذه المنطقة،سوف أعطيك نصيبك ايضا؟

تفاجأ بما سمعه مني و ظهر عليه الصدمة، تحرك في مكانه قليلا و حاول الاقتراب مني سائلا:

–ماذا تقول؟! أنت أشتريت قطعة ارض في منطقتنا؟

أجبته قائلا:

–نعم

فقال:

–كم هي مساحتها؟

فقلت له:

انها بمساحة (٦٠٠) مترا بالضبط!

وعندما سمع هذه العبارة، أندهش كثيرا و ظهر عليه ردة فعل قوية، بحيث ضرب رأسه بيده و هو يقول:

–انها مصيبة كبيرة لو كنت تقصد القطعة التي أنا أفكر فيها! يا ترى هل هي قطعة عبدالستار؟

أجبته قائلا:

–نعم انها هي نفسها و سألته كيف عرفت انها هي؟

تلعثم اثناء الحديث وشعر بعجز و ثقل في لسانه و قال:

–هل تم الأتفاق على سعر المتر الواحد؟

أجبته:

–نعم و تم احتساب (عشرين) دينارا للمتر الواحد

–من شدة تأثره ضرب ركبته بقوة و صاح بصوت مرتفع قائلا:

–لقد وجهت ضربة موجعة الى ما كنت أخطط له،وذلك من اجل شراء هذه القطعة بالذات و وضعت لها سعرا محدودا؟! طيب أنا هنا أسألك:

ما الذي دفعك لكي تغامر بشراء هذه المساحة الكبيرة؟ و يا ترى هل تستطيع أن تدفع مثل هذا المبلغ الضخم؟ مع انني كنت أحاول على اقناعه و الاتفاق معه على سعر(١٨) دينارا للمتر الواحد، لكنك قطعت الطريق و بادرت بأضافة دينارين على المبلغ الذي حددته، اعتقد ليس هناك داعي لهذه الزيادة!!

فقلت له:

–المهم هنا هو الانجاز و الظفر بقطعة ارض تمتاز بموقع كنت أحلم به، بالذات قربها من بيت والدي، يجب أن تعرف بأنني لا أريده لنفسي فقط و كما تفعل انت دائما، أي انني حاولت الابتعاد عن الانانية و لم أنسى اعطائك حصتك من هذه القطعة.. والآن أسألك هل تريد هذه الحصة أم لا؟

صمت قليلا و ظهر عليه الاضطراب، مسك يدي بقوة وسحبني الى داخل الغرفة و قال:

–نعم أريدها و موافق على شراءها، لا بل أشكرك كثيرا،بعد أحساسي بأنني قد فقدت الأمل بالحصول على هذه القطعة النادرة،أي التعرض الى خسارة كبيرة و فقدان كل شيء!!

مع حلول المساء أتجهت مع عباس الى زيارة عبد الستار، ودفعنا ما تبقى من سعر قطعة الارض.

عند عودتنا و نحن في الطريق، بدأ عباس بمدح نفسه كثيرا، قائلا:

–ألله يشهد على ما أقوله لك، انني أحبك بقدر حبي لأبنائي، يجب أن تعلم جيدا بأنني قد أخفيت عليك هذه القطعة لكي أحافظ على مصالحك و عدم الخسارة عند شراءها، لقد كنت أعلم بأنك لا تستطيع السيطرة على نفسك و ستبادر الى رفع سعرها، و هذا ما فعلته أنت اخيرا! بينما أتا كنت أنوي شراءها بسعر (١٨) دينارا للمتر الواحد و أجعلك شريكا لي!

يريد خداعي بتمرير حيلة جديدة

بيتنا لم يكن بعيدا عن بيت عباس المحتال كثيرا،حيث كنا نسكن في حي (باداوه)، لكن المفاجئة جاءت بعد مرور يوم واحد على شرائنا الارض معا،حيث كنا نغط في نوم بدايات الصباح،سمعت طرقا للباب بقوة وأنا مازلت تحت تأثير النوم العميق،لذلك حاولت التحرك في مكاني و أردت النهوض، لكن النوم كان ثقيلا جدا و قررت الاستمرار في نومي، لكني وجدت الطرق كان قويا جدا هذه المرة و سمعت صوتا يناديني بصوت عال قائلا:

–افتح الباب، نحن لسنا غرباء ونحتاجك في عمل عاجل و لا يقبل التأخر أبدا.. لذلك لعنت الشيطان و نهضت من النوم، غسلت عيني و فتحت باب البيت، فوجدت عباس أمامي وبيده كيس نايلون مليء بالفلوس و سلمه لي مباشرة، و هو مايزال تحت تأثير التنفس الشديد و ظهر عليه التعب، وقال لي:

–يبدو أن هذا البائع النذل (أي عبد الستار) قد تراجع عن البيع و كذب معنا، و هذه فلوسك التي دفعتها له،لا تحزن و يبدو أنه ليس لك فيها نصيب، لكني سأحاول تعويضك في قطعة أخرى! انني لن أغفر لهذا الرجل مسألة التراجع الذي ليس له أي مبرر .

ضحكت على ما سمعت من كلام غير معقول و عجيب، لذلك قمت بهز رأسي مندهشا، لقد اراد أن يظهر و كأنه لم يفعل شيئا، لكنه اثبت حقا انه محتال مع

غباوة و سذاجة في تصرفه الاخير!! يعتقد بأنه قد عثر على صيد سهل و يمكن أن يعبر عليه كل شيء بسهولة!! يبدو أنه لا يعلم بأنني أعرف كم شعرة على رأسه و حبات التمر التي يأكلها: (نواها موجود في جيبي)!! أي لا تفوتني ما يقوم به من احتيال و السيناريو مكشوف أمامي بصورة واضحة! انني تعودت على سماع عمليات الخداع و الكذب التي يمارسها مع الآخرين و اسمع بها منذ بدايات مرحلة طفولتي، لذلك ليس غريبا أن احس بأن هناك شيء مريب و لا يقبله العقل،لذلك قررت عدم تسلم المبلغ المرجوع الذي اعاده لي وقلت له:

–أنا لم أشتر منك هذه القطعة، لكي تسترجع لي فلوسي، أنا الذي اشتريت هذه القطعة من عبدالستار و سلمته مبلغ المقدمة شخصيا ، لذلك أنا أريد رؤية عبدالستار وأسمع منه الحقيقة،فعندما سمع العبارات الاخيرة، ظهر عليه الارتباك و تفاجأ بما سمعه مني، لذلك حاول أرضائي بكل وسيلة، لكن دون جدوى.. و بسبب هذه المفاجأة المقلقة لم أتمكن العودة الى اكمال نومي، لذلك أرتديت ملابسي و خرجت بدون أن أتناول فطوري، فأتجهت مسرعا الى بيت عبدالستار و وجهت له عتبا كبيرا بسبب تراجعه عن بيع الارض،لكن ظهر على الرجل حالة أندهاش و الأستغراب بسبب ما سمعه مني من كلام غريب و عجيب، فأصبح في حالة حيرة شديدة تجاه هذه الحالة المربكة التي يراها أمامه الآن و قال:

–اللعنة على الشيطان الرجيم، أنا لا أفهم بالدقة سبب الارتباك و ردة فعلك الغاضب! هذه الليلة زارني عباس و زوجته في بيتي و قال لي: بأنك على خلاف شديد مع زوجتك حول شراء قطعة الارض و حدث بينكما شجار، و بأن زوجتك قالت لك: اننا لا نريد ارضا في هذه المنطقة!! من جهة اخرى انت لا تتنازل عن هذا شراء الارض و لن تتراجع عن اتفاقك معي و شراء الارض ، و كذلك أكد لي عباس و زوجته: بأنهما قد تدخلا لأنهاء الخلاف بينكما (أي أنت و زوجتك)، بحيث وصل الامر الى أنه تم الأتفاق على شراء حصتكم و وضع حدا للخلاف

بينكما ! ! لكن يبدو انها توضحت الامور وظهر انها مجرد سيناريو من هذا المحتال.

عندما سمعت منه هذا الحديث الغريب، أندهشت كثيرا و ثبت لي بأن هذا الثعلب الذي لا يمتلك أدنى حد من الضمير الانساني،و ذلك من خلال التخطيط لسيناريو كاذب، لذلك حلفت بالله العظيم أمام عبدالستار، بأنني لم أرى أبدا عباس و زوجته هذه الليلة و لم يحدث أي شجار و خلاف مع زوجتي، لا بل لم أتراجع أبدا عن شراء الارض.. و بينما نحن الأثنين منشغلين بالحديث بيننا، وجدنا عباس المحتال يدخل ضاحكا و كأنه قد عرف بأن كذبه قد انكشف و أصبح في مهب الريح؟! في هذه اللحظات الحرجة بادر عبدالستار الى أن يوجه (تفلة كبيرة) الى وجه عباس المحتال و قال له بصوت عال:

–أيها الملعون ألا تخجل من أطلاق و تصفيف مثل هذه الاكاذيب المخجلة و الاساءة الى هذا الانسان المسكين؟! و لماذا لا تبتعد عن هذه الاساليب الخبيثة؟ ألا تخجل؟ لذلك قررت أن لا أبيع لك شبرا من هذا الارض، بدون موافقة هذا الرجل الكريم الذي أعطاك حصة من الارض كمبادرة منه ! !

رغم ذلك لم أتراجع عن أتفاقي السابق و المتمثل بشراء الارض سويا، خصوصا و انني لا أمتلك هذا المبلغ الكبير من اجل شراء الارض كله،لذلك كنت مضطرا على البقاء معه و نتقاسم الارض، وهكذا بدأنا بأنجاز معاملة تحويل ملكية الارض التي تقع في موقع مميز و لها واجهتين على الشارع العام،ثم قررنا تقسيمها الى اربعة اقسام، وذلك بعد انجاز معاملة الافراز، حيث سنقوم بتحويل و تمليك كل قسم باسم الذي نختاره نحن، ثم نبني عليها اربعة بيوت جميلة.

قام عباس بتحويل ملكية حصته من الارض الى ابنتيه، بينما أنا قمت بتقسيمها الى قطعتين، قطعة يكون بأسمي أنا و الأخرى باسم أخي.

و بينما كانت المعاملة في مرحلة الانجاز، قررت أن أضع خطة محكمة من اجل تنفيذ عملية البناء، مع الأمل بمنحي سلفة العقاري،لا بعد شراء هذه الارض، لم يبق لدي أي مبلغ لأنجاز عملية البناء.

مراجعة دائرة الطابو

طلبت اجازة لعدة أيام من دائرتي و توجهت مع عباس المحتال نحو متابعة المعاملة و انجازها، تمكنت من اكمال الاجراءات في مديرية البلدية خلال اسبوع واحد فقط والتي كانت تستغرق شهرا كاملا ، وذلك تقديرا لي أنا، وتم تقسيم الارض الى اربعة اقسام متساوية.

كنت على عجلة من اجل الحصول على سلفة العقاري، لذلك كان اليوم الواحد لدي يعادل سنة واحدة و يمضي ببطء، على كل حال، لقد تمكنا من اكمال معاملة فصلها و بقي تحويل الملكية في دائرة الطابو، استطعنا دفع المعاملة و انجاز الكثير منها، و ذلك بوجود الاشخاص الذين لهم علاقة بالملكية (أنا و أخي و معنا عباس و ابنتيه) حيث كنا موجودين في غرفة المدير، ننتظر اللحظة النهائية لتحويل الملكية، أي أن المعاملة كانت في المرحلة الحاسمة وفجأة وجدت المدير واقفا وهو غاضب، فضرب الطاولة الكبيرة بقوة و ألتفت الى عباس المحتال قائلا:

–يلعنك الله يا عباس، كيف تمكنت أن تفعل هذا ايضا؟! وهل تريد أن يطردونني و يقطعون رزقي؟ هل تريد أن يرسلوني الى السجن؟ أنا في اللحظات شعرت بأرتباك و أندهشت ،لأنني كنت لا أعرف ماذا فعل هذا المخادع!! و ياترى ماهي لعبته الجديدة،حيث يبدو انه يريد توريط مدير الطابو بها؟!

في هذه اللحظة المحرجة ألتفت الى المدير و سألته:

–حضرة المدير ياترى ماذا فعل هذا الثعلب؟

هز رأسه و قال:

–ابني، يبدو أنك لا تعرف هذا المحتال جيدا و لا تعرف بأنه من النماذج النادرة في الخداع و المكائد ،انني عندما أرى هذا المخادع، أحس كأنني في مواجهة خطر قادم؟! تصور لم يبق أحد من عائلته و أقاربه بدون أن يملكهم قطعة ارض سكنية، ثم يبيعها؟!

أنا لم أفهم قصد المدير من هذا الكلام و سألته:

–حضرت المدير، لماذا لا يحولها بأسمه هو؟

ضحك وقال:

–مع أن هذا الملعون يفتقر الى التعليم و الشهادة الدراسية، لكنه يحفظ كل القوانين العراقية و لا تفوته شيء في هذا المجال الهام، انه يلجأ الى هذه الاساليب الخبيثة من اجل عدم دفع الضرائب التي ستفرض عليه عند القيام باجراءات التحويل، تصوروا لو قمنا بتفتيش جيوبه الداخلية الآن، سنجد فيها الكثير من الصور الشخصية، وذلك من اجل تمشية أية معاملة فورا!

المدير ارسل الفراش الى نائبه و كاتبه، من اجل أن يحضروا امامه، ألتفت اليهم و سألهم و هو غاضب:

–لقد حذرتكم كثيرا من معاملات هذا المخادع وكنت أقول لكم دائما حاولوا تدقيقها جيدا، لأنه رجل غير موثوق و لا يمكننا أن نثق به أبدا، حاولوا متابعته وتفحص أية معاملة يجلبه الى الدائرة ثم تحويله الينا؟!

نائب المدير أجاب قائلا:

–ثق اننا كنا يقظين في هذا المجال، لأننا نعرف مدى خطورة ما يمر بنا من معاملات مزورة و بما فيها معاملة هذا الرجل الماكر (عباس) لذلك كنا نراجعها عدة مرات و التأكد منها جيدا، لا بل كنا نحاول أن نسأل حضرتكم عن هل هناك خطأ في هذه المعاملة .

أجاب المدير و هو في حالة غضب شديد قائلا:

–يجب أن تكونوا يقظين و نحن نواجه احتمالات وجود معاملات مشكوكة، تصوروا أن ابنة عباس و اسمها (نسرين) لم تكمل بعد سن (١٨) عاما؟! مع

هذا تم تمشية معاملتها!! بالتالي اكمال اجراءات تحويل الملكية و تقسيم الارض،لذلك كنا سنواجه الكارثة التي ستقع على رؤوسنا ويتم طردنا من الوظيفة!!

ألتفت نائب المدير الى عباس و سأله:

–يا عباس، هل كان لديك علم بمدى خطورة ما تقوم به علينا نحن الذين سنتحمل المسؤولية الأولى؟!

فأجاب عباس المحتال و هو يضحك:

–يا ترى من قال بأن ابنتي تبلغ (١٨) سنة تماما؟

أجاب نائب المدير و هو مندهش قائلا:

–يبدو أنك لا تنكر و تعترف بذلك؟

أجاب عباس بكل هدوء و بدون أن يرتبك قائلا:

–انها ابنتي و أنا أعرف بالدقة كم عمرها يا أستاذ؟

نائب المدير أجابه قائلا:

–اذن و مادمت تعرف هذا، لماذا لم تقل الحقيقة يا أيها الثعلب الماكر؟

أجاب عباس المحتال قائلا:

–أنا لم أعرف بأن هذه المسألة غير قانونية و ممنوعة!

نائب المدير ألتفت الى المدير و قال:

–يبدو أنه قام بالتزوير باعتباره يتجاهل القوانين السارية،بحيث أعتقد بأن هذه الحيلة و المعاملة ستمر بصورة اعتيادية بدون أن يحس بها أحد، أي سيعبر علينا مثل هذه المخالفة بسهولة!

بأستثناء رب العالمين الذي لا يعبر أي شيء و له علم بكل شيء،بما فيه كشف مخططات عباس،أي ليس هناك ممن لديه قدرة السيطرة على سلوكيات و تصرفات هذا الشيطان و كشف ما يقوم به من سيناريوهات كثيرة!!

علما بأنه تم الافراج عن مدير الطابو بكفالة قبل عدة أشهر، و ذلك بسبب تمشية معاملة بيع و شراء بدون علم صاحب الملك!! و تم كشف هذا التزوير

الخطير، بعد أن قام صاحب الملك الأصلي بزيارة دائرة الطابو، وذلك بعد مرور فترة على عملية التزوير، حين طلب (سند الملك) لكن الموظفين قالوا له: بأنه تم رفع اسمه من سند الملك و وضعوا اسما آخر بدلا منه، أي تم تسجيل الملك باسم شخص آخر!! لذلك قام هذا الرجل بتسجيل دعوى ضد مدير الطابو في المحكمة، بذلك تم حجز المدير و ادخاله السجن، بدون أن يكون له علم بهذه المخالفة القانونية، أي أن ذنب المدير يتركز على أنه لم يدقق ملامح و وجه الشخص الذي أرتكب المخالفة و قام بتوقيع المعاملة و شطب اسم الصاحب الاصلي!! أي كان هناك شخص مخادع مثل عباس المحتال، الذي استطاع القيام بالتوقيع و لم يشك الموظفون و المدير بشخصية الذي قام بالتزوير و عبرت عليهم الخدعة الشيطانية؟! و يبدو أن المدير كان سيء الحظ و متهم بالاهمال و مازال يعاني من جرح الخدعة الماضية و عقوبتها المريرة، رغم ذلك نجد مخادعا آخر يريد اضافة جرحا جديدا للمدير و المتمثل بالثعلب (عباس المحتال)، لذلك و عندما عرف بلعبة عباس و تم كشفها،أحس بغضب شديد وفقد صبره و استقراره، بحيث لم يستطيع الثبات على الكرسي وبدأ يقفز من مكانه الى مكان آخر، لا بل كان عاجزا عن فعل أي شيء!

ان عباس المحتال يتصف بالذكاء وبأمكانه اللجوء الى كل الوسائل، من اجل تمرير اللعبة المخادعة التي يخطط لها و بدون أن يعطي اللزمة أو نقطة ضعف التي تؤكد بأنه أرتكب عملية نزوير؟! الى أن وصل الى اللعبة الاخيرة التي لعبها و انكشفت للمسؤولين في دائرة الطابو و بالذات أمام المدير و نائب المدير، باعتبار أن مدير الطابو قد استفادة من تجربة الماضي وجعل من عينه بمثابة ألف عين،بحيث كان يتفحص فايل المعاملة عدة مرات و بدقة، لذلك اصبح يشك بكل معاملة تطرح امامه و يقوم بتدقيق صاحب المعاملة و ملامحه و سند التمليك عدة مرات؟! و ذلك في ظل استمرار القلق و التوجس من أن يعبر عليه أية معاملة مزورة كما حدث سابقا، مع وجود شخصيات مخادعة

تعتمد على الخداع و الاحتيال في اعماله اليومية، من امثال عباس المحتال الذي لا يتوقف عن تمرير ما يريده َمن مكائد و مصائب!

ثم ألتفت الى نائب المدير و قال:

–كان لابد أن تكون منتبها و يقظا أكثر من اللازم، وذلك بعد أدخالي السجن بسبب الرجل الذي قام بعملية خداع، لذلك فكرت في تلك الفترة بأحالتي نفسي على التقاعد، بدلا من الأستمرار في الخدمة و مواجهة المزورين و المخادعين!

بعد ذلك ألتفت الينا أيضا و قال لنا:

–أذهبوا و لا تأتوا الى هنا حتى مرور ستة أشهر؟ أي بعد أن تكمل ابنة عباس سن (١٨) سنة كاملة!!

أما بالنسبة لي و أنا أواجه هذه اللحظات المصيرية، وقعت تحت تأثير استغرابي و أندهاشي مما أسمعه، و قلت له:

–يا سيدي ما هو ذنبي؟ و لماذا أنا انتظر كل هذه المدة الطويلة؟!

فأجاب قائلا:

–لماذا تسألني أنا؟ اسأل عباس؟! لأنك اشتريت الارض بالشراكة معه و تريدون تقسيمها و فصلها عن بعضها و تمشية المعاملة بصورة قانونية!! لذلك يجب أن تنتظروا صاحبة الحصة، الى أن تبلغ (١٨)عاما،أي بلوغ السن القانوني، ثم المراجعة لأكمال المعاملة!

يبدو انني سأبق أسيرا لذلك اليوم و التاريخ الذي ستبلغ فيها (نسرين) ابنة عباس المحتال العمر القانوني (١٨)عاما،فأصبحت و كأنني انتظر لحظة التي سأفوز ببطاقة يانصيب الموعودة! أي وصل الأمر بي الى أن أقوم بشطب اليوم الذي سيمضي و أقترب من اليوم الموعود وتمليك نصيبنا من الارض!!

و من سوء حظي، كانت اسعار مواد البناء في تصاعد ، هذا بالاضافة الى ضغوطات الرجل الذي اشترى مني داري و يطلب مني أفراغها باسرع وقت ممكن! و كان دائما يسألني: يا ترى متى سينتهي بناء داركم؟ لقد فقدت

صبري و ليس لدي حل آخر سوى الانتظار! لذلك، و بسبب استمرار ضغوطات افراغ الدار و خوفي من الارتفاع المستمر لمواد البناء، لذلك كنت مضطرا الى بيع قسم من الارض، ثم الانطلاق الى البناء، أي بدون انتظار الحصول على اجازة البناء المطلوبة، بحيث وجدت البناية ترتفع يوما بعد آخر! !

كيف قمنا ببناء الدار سويا؟!

لقد قمنا(أنا و عباس) سويا و في يوم واحد، بوضع خارطة البناء على الارض، حيث قام كل واحد منا بجلب أربعة عمال، وذلك من اجل حفر الاساس، مع حلول المساء رفع العمال يدهم و أنتهى العمل.

مع أن اجرة اليوم الواحد للعمال في تلك الفترة كانت اربعة دنانير و نصف، لكن بسبب أن العمال قد بذلوا جهدا كبيرا في ذلك اليوم، لذلك دفعت لهم خمسة دنانير، أي بزيادة نصف دينار عن الأجر الحقيقي، بعد ذلك ذهب العمال بعد توديعي لهم و ابتعدوا عني، جاءني عباس المحتال و سألني:

–كم دفعت لهؤلاء العمال؟

أجبته قائلا:

–خمسة دنانير! !

مع انتهائي من هذه العبارة التي استفزته و وجدته ينطلق مثل الأرنب و لحق بالعمال الأربعة و أعادهم لي، فقال لهؤلاء العمال:

–لا أللّه يقبل ولا النبي يقبل بأن تأخذوا من هذا الرجل (نصف دينار) زيادة، فأنتم تعرفون بأن هذه الزيادة تعتبر حرام ، فاذا لم تسترجعوها، ستحرقون بنار جهنم.

ألتفت العمال الى عباس المحتال و قالوا:

–يا حاج لماذا هذا المبلغ حرام، لأننا لم نأخذه منه غصبا، بل دفع لنا هذه الزيادة بنفسه و بارادته الحرة!

أجابهم عباس قائلا:

–كيف لا يعتبر حراما عليكم؟!لقد استلمتم اكثر من حقكم، ان الشرع و الدين يؤكدان على ذلك، و هل أنتم مسلمون أم لا؟!

العمال الأربعة أجابوا بصوت واحد:

–نعم اننا مسلمون؟!

قال عباس:

–اذا كنتم مسلمين حقا، تفضلوا و أسترجعوا المبلغ الزيادة؟!

أنا لا أفهم تصرفات عباس المحتال وحيرني كثيرا، لذلك استمر تفكيري بهذه المسألة، لكني لم أصل الى حقيقتها، سيما و أنه يعتبر محتال كبير و لا يعطي أولوية للحلال و الحرام!

كنت اقول متحدثا مع نفسي، بالتأكيد أنه لا يطالب باسترجاع المبلغ من أجلي، لذلك قلت له:

–يا عباس أتركهم وشأنهم، أنا أعطيتهم نصف دينار زياده بدون أن يطلبوا مني ذلك؟

مع ذلك، أبدى عباس اصرارا و أقترب مني قائلا:

–كيف تقول مثل هذا الكلام الغريب و هل تريد أن تجعل رزقهم حراما؟!

أحد العمال ألتفت الى رفاقه و قال:

–أنا لن أسترجع نصف الدينار حتى و لو كان حراما، أنتم لكم الحرية في هذا المجال، بادر الباقي بمد ايديهم الى جيوبهم، أحدهم استرجع لي نصف دينار و بعضهم أبتعد، مع هذا تم اقناع الباقي من اجل استرجاع هذا المبلغ، لكنني تضايقت كثيرا من تصرفات عباس وعبرت عن انزعاجي و قلت له:

–أنا لا افهم تدخلك هذا و ما هو علاقتك بهذه المسألة و لماذا هذا الاصرار؟!

فأجاب:

–كيف ليس لي حق؟ طيب أليس من حقي في أن أرفض اعطاء مبلغ اضافي الى العمال و الذي سيكون له افرازاته السلبية علينا؟

فقلت له:

–من اعطاك هذا الحق لكي تتدخل في الشؤون الخاصة؟!

أجابني:

ألا تعرف بأنه اذا اعطيتهم اليوم نصف دينار اضافي، سيتحول غدا الى عادة و سيرفضون العمل معي بالأجرة الأعتيادية، يبدو انك تريد تغيير سلوكياتهم نحو الأسوأ وتضرب مصالحنا؟

في احد الايام، كان لدي نية جلب العمال من اجل بناء الجدار، لهذا اشتريت (تانكرماء) و ملئت الحوض بالماء، مع أن العمال لم يصلوا بعد، لأنهم انشغلوا في ذلك اليوم بعمل آخر و لم يستطيعوا الحضور، لذلك حضروا في اليوم التالي و ارسلوا عاملا لكي يعاتبني بسبب عدم جلب الماء! لقد أصيبت باندهاش كبير، لأنني بنفسي اشتريت الماء، لهذا اتجهت فورا الى موقع العمل و أكدت لهم بأنني اشتريت الماء!!

لكنهم أخذوني نحو حوض الماء، من أجل التأكيد و قالوا لي:

–انظر و هل تجد فيه ماء؟

فعندما نظرت، وجدته خاليا تماما من الماء!

لذلك سألت جيراني الموجودين هناك قائلا:

–يا ترى ألا تعرفون من أخذ الماء؟

أجابوا: ان مثل هذه السلوكيات الشائنة لا يليق الا بالثعلب (عباس المحتال) فقط و اخلاقه المنحرفة، مع علمه التام بأنها من الاعمال اللاشرعية؟

لذلك لم يبق سوى أن أقول: لعنة الله على الشيطان الرجيم و تركتهم، لأنهم لم يعملوا ذلك اليوم، بسبب الماء و خسرت يوما واحدا من العمل، لقد كنت اشعر بغضب شديد و فقدت السيطرة على نفسي، مع هذا حاولت البقاء و انتظار مجيء هذا السارق، انتظرته طيلة ساعات النهار، من الصباح الى وقت

الظهيرة،و عندما ظهر، حاول اظهار نفسه وكأنه لم يفعل شيئا أو لم يحدث أي شيء، أتجه نحوي و هو يضحك، حيث قال لي:

–البارحة كان لدي عمال، لكني لم أشتر الماء، لذلك كنت مضطرا لكي ألجأ الى أخذ الماء من عندك، و قلت للعمال بأنه لا فرق بيننا واعتبر نفسي بيتا واحدا مع جاري هذا و لا يمكن الفصل بيننا، هذا بالاضافة الى أننا أخوة في الدين، أشار بيده الى الدار و قال:

- داري تعتبر دارك ايضا، لك مطلق الحرية في أن تأخذ أي شيء تحتاجه و لا يحتاج أن تأخذ الاذن مني، انت صاحب هذا الملك و نحن أخوة لا فرق بيننا ! !

لكني أمتلك قلبا كبيرا و يستوعب كل الحالات و أحاول اظهار انني كاظم للغضب، وبما فيها تجاه الشخصيات السيئة و المخادعة من امثال هذا الملعون (عباس المحتال) الذي استطاع أن يستوعب و يمتص غضبي الشديد بحديثه العسلي و لسانه الناعم الذي كان له التأثير على اعصابي و تبريده، لا بل استطاع أن يخمد نار غضبي الذي كان مشتعلا في اعماقي، فبدلا من الهجوم عليه و فضحه في الحي،سلمت نفسي له بكل سهولة و اعطيته صلاحية أن يأخذ أي شيء يريده.

في اليوم التالي، و بعد الاستفادة من درس سرقة الماء، لذلك اشتريت (تانكر ماء) آخر مع بدايات الصباح و جلبته معي الى مكان العمل، مع وصولي وجدت العمال و الأسطة ينتظرونني و قاموا باعداد كل المواد و المعدات التي يحتاجونها اثناء عملهم، أفرغت الماء في الحوض، ارسل الأسطة أثنين من العمال من اجل جلب مادة السمنت من الداخل، كنت واقفا مع سائق التانكر و اتحدث معه، فجأة سمعت أحد العمال يقول للأسطة: لا يوجد هنا مادة السمنت ! ! مع سماعي هذا الكلام المستفز جدا، فقدت السيطرة على نفسي و غضبت غضبا شديدا، يبدو انني قد أبتليت بهذا الحرامي (عباس) بحيث لا استطيع بوجوده في نفس المنطقة، أن أحقق هدفي الشخصي ببناء الدار التي

أرغب بها ، هل من المعقول أن أجده يسرق الماء، ثم في اليوم التالي يسرق مادة السمنت، الله هو الذي يعلم ماذا سيسرق مني ايضا في المستقبل؟!

أتجهت نحو الأسطة و قلت له:

–لقد أنزلنا السمنت هنا بوجودي أنا، أي كان من الممكن أن أشك بالأمر لو لم أكن موجودا؟!

مع ذلك حاولنا البحث في كل مكان، لكن لم نجد أي شيء!! ثم أتجهت نحو دار عباس المحتال و سألت نفسي قائلا:(من الممكن أن يكون هذا الثعلب هو الفاعل و قام بهذه العملية المخجلة، مثلما فعل في سرقة الماء، يا ترى هل هناك شخص آخر يمكن أن يقوم بسرقة السمنت؟) و هكذا وجه لي ضربة قوية أخرى، بالذات عندما قمت بدفع اجرة يوم كامل للعمال بدون تنفيذ أي شيء، و قلت للأسطة:

–في المرة القادمة لا تأتي قبل التأكد من كل شيء،أي انتظر الأيعاز مني لكي تتجه للعمل.

لقد كان هذا اليوم، يوما مشؤوما و نحسا، لم استطيع تجاوز هذا اليوم بالذات بسهولة، كنت أرى الصعوبة في اطباق عيني، حتى وقعت في الحوار مع نفسي: (هذه المرة اذا مسكته لن أرحمه ابدا، أي سأشبعه ضربا و ساكسر عظامه و أجعله عبرة و درسا لكل مخادع من أمثاله، و سأنقذ هذا الحي و المدينة كلها من شره و مكائده الكثيرة) حاولت السيطرة على نفسي لحين ظهور هذا المحتال، انشغلت بالسير داخل شوارع الحي، لكن كان دون جدوى، في تلك اللحظات كنت أحس بصداع مزعج، لأنني تعودت على شرب الشاي ظهرا ،بالذات بعد تناول كل وجبة، اذ لأبد أن يكون الشاي حاضرا، لكي لا أصاب بالصداع الموجع، لذلك لم استطع الصبر أكثر و توجهت رويدا رويدا الى البيت، في اليوم التالي ذهبت مرة أخرى الى متابعة بناء داري، فأصبحت خفرا و أراقب وصول هذا الدجال الكبير،بحثت كثيرا عنه و اتطلع في وجه كل من يمر في المنطقة، عسى أن يقع عيني على ظل عباس المحتال على اقل تقدير، فلم

يظهر في أي مكان! عند الظهيرة وصلت سيارة حمل تحمل مادة السمنت، تم افراغها امام دار عباس المحتال، لكنه لم يكن معهم، بهذا أحسست براحة و أنشراح في أعماقي و قلت:(أحمد الله على ما أراه امامي و لا أجد أفضل من هذه الفرصة الذهبية، لذلك من الأفضل أن أبادر و استغلال ماوصل من مادة السمنت، من اجل تمشية عمل البناء في داري).. قمت بجلب عامل لكي ينقل لي هذا السمنت الى موقع عمل داري، و في فترة المساء ذهبت الى مقهى (الأسطة علي) من اجل الاتفاق مع الأسطة و العمال، مع بدايات الصباح وصلوا و توجهوا للعمل مباشرة، و في اليوم الثاني حضروا ايضا و أكملوا عملهم بما تبقى من مادة السمنت! ! فأرتفع البناء الى ما فوق النافذة و الباب.

في اليوم الثالث انشغلت برش الجدار بالماء، مع هذا كنت أضحك على حال عباس المحتال و أتحدث مع نفسي قائلا (اذا جاء الان الى هنا و يرى مادة السمنت مختفية ولم تبق،من الممكن أن ينهار و يصاب بصدمة قاتلة، و اذا سمعت منه أية ردة فعل سلبية، سأجيبه قائلا: نحن أخوة في الدين و لا نستطيع الأستغناء عن أموال و مواد بعضنا البعض و يجب أن نتعاون!).

أستطيع القول بأن ذلك اليوم كان (يومي)أنا شخصيا، بحيث أشفيت غليلي و عوضت ما خسرته نتيجة السرقة، لقد كنت أحس بفرح كبير، بحيث لا أستطيع الوقوف على قدمي، أما عباس المحتال الذي أصبح حاله حال الحارس الليلي الذي يقوم بحراسة داره و تجده لا يفارقها أبدا، لقد وجدته في صمت مطبق، بحيث من شدة حزنه و ضغوطاته، كان يتنفس بصعوبة جدا و لم يستطيع أطفاء السيجارة التي كانت بيده، حيث كان يدخن الواحدة بعد الأخرى! ! الدخان كان يغطى وجهه! بينما أنا أخذت موقف عدم الاهتمام و تجاهلته تماما، بقينا طيلة ذلك اليوم بدون أن نتحدث، لا أنا و لا هو،اخيرا رجعنا الى البيت في ظل صمت تام! !

قصة كيفية املاء أساس دار عباس المحتال؟!

في بدايات صباح احد الايام، وعندما كنت أتجول حول داري، فجأة جاءني عباس المحتال و سألني:

–كم كان مصاريف املاء اساس بناء دارك؟

أجبته:

–جلبت عشرين شاحنة قلاب من التراب، سعر كل شاحنة عشرون دينارا، أي أصبح المجموع (٤٠٠) دينارا، هذا اضافة الى أجرة العمال الذين كانوا يقومون بتسوية و نشر التراب داخل الغرف.

أندهش و سمعت صفيرا طويلا من فمه مستغربا و قال:

–انها أجور غالية جدا و تخرج عن أمكانياتي، فحسب معلوماتي أنها لا تتجاوز (٦٠) دينارا! !

ضحكت على ما سمعته منه من حديث غريب و قلت مع نفسي:

–يا لهذه الكذبة الكبيرة! من اين أخذت هذه الأسعار الغريبة؟ و هل تريد خلق مشكلة يا ثعلب؟ فقلت له:

أرجوك قل كلاما واقعيا بحيث يمكن تصديقه و يتقبله العقل، و هل من المعقول أن يكون سعر شاحنتين من التراب (٤٠) دينارا فقط! ! و هل من المعقول املاء أساس بناء دار بشاحنتين فقط؟

وقع في الضحك و قال:

–سترى كيف انني سأقوم بأملاء الاساس بمبلغ (٤٠) دينارا و بشاحنتين فقط أم لا؟

في اليوم التالي و عندما كنت متوجها نحو الدار، عند وصولي الى رأس شارع زقاقنا، رأيت عباس المحتال و هو راكب (الشفل) يدور و يبحث مع السائق داخل الساحات وقطع الاراضي الفارغة، حتى بين أكوام الأزبال و النفايات، حيث قام برفع و جمع بقايا التراب المتجمع في اطراف البيوت والساحات الفارغة و بما فيها بعض القمامة المتروكة منذ فترة طويلة ويضعها في

اساس الدار! في حين انني كنت أراقبه من بعيد وملاحظة ما يفعله، و هل سيصل الى الهدف الذي أكده لي سابقا.

بدأ الشفل يحفر في جانب بيت من البيوت الموجودة، و مع قوة عملية الحفر بالقرب من جدار باحة البيت، هز معه الجدران و أصبح وكأنه يتجه نحو الانهيار، بحيث خرج صاحب البيت الى الخارج لكي يعرف ماذا حدث، ثم بدأ يوجه الشتائم تلو الشتائم الى الفاعلين و الموجودين هناك، لكن الثعلب عباس تجاهل ما سمعه من الرجل،بحيث كان في حالة طبيعية و كأنه لم يفعل أي شيء وقال:

–مع انني أريد خدمتهم و تنظيف المنطقة،لكني أجدهم يوجهون لي الشتائم؟!

لكن الرجل لم يتوقف عن توجيه الشتائم بل زاد من شتائمه البذيئة و المخجلة، وقال:

–أالله يلعنك يا عباس ويلعن خدمتك التخريبية؟! يبدو أنك لا تعلم بأن داري على وجه الانهيار على رؤوسنا؟! أم أنك تستخف بعقولنا و تعتبرنا ناس سذج، طيب ألا تقول لنا ما هي الخدمة التي قدمتها لنا؟!

فأجاب قائلا:

–ألا ترى اننا نرفع النفايات و الأزبال من جوانب بيوتكم بدلا من البلدية، فبدلا من تقديم الشكر لي، أراكم غاضبون و تشتمون، و استمر قائلا: أنا لا أعاتبك و ألومك على ما تقوله لي من كلام جارح، يبدو أن خبزي ماسخ و بدون ملح، أي ليس له أي تأثير عليكم، انكم لا تقدرون ما أبذله من جهد لأجل خدمتكم! ! أعتقد بأن رجلا شريرا من أمثال (ابراهيم خانقيني) سيفيدكم و يعرف كيف يتعامل معكم، حيث كان يفرض عليكم غرامات مالية تصل الى مائة دينار شهريا و بدون أن نرى منكم أي ردة فعل تجاه هذا الرجل!

لقد استطاع عباس أن يرفع ما تجمع من الصفائح والعبوات المعدنية الفارغة و كذلك أشلاء و بقايا الكلاب و القطط الميتة والنافقة، حتى وصل الى بقايا

ريش الدجاج المتناثرة على أكوام النفايات المتجمعة، ووضعها داخل أساس البيت؟! اخيرا استطاع أملاء الأساس و وضع خمسة عشر دينارا في يد سائق الشفل و ودعه ! !

توجهت الى عباس، لكي أسأله و أنا أضحك:

–هل هذا هو طريقة املاء أساس الدار؟!

أجابني قائلا:

–يبدو أنك لم تقتنع بما قمت به من عمل كبير وبمبلغ محدود جدا؟ و هل فيها عيب كبير يا ترى؟ أم فقط لأنه رخيصة التكلفة و عملية بسيطة، لذلك تسألني مثل هذا السؤال و تعتبر ما قمت به شيئا فاشلا؟!

حاصرني حالة من الضحك في تلك اللحظة و أنا غير مقتنع تماما بما أسمعه و قلت له:

–ليس فيه أي عيب! فاذا لو قام كل الناس بأملاء اساس الدار بهذه الطريقة، سوف نجد الناس و المنطقة لا يحتاجون البلدية و خدماتها الاساسية، بالذات رفع و رمي الأزبال و النفايات.

قال عباس:

–يبدو أنك تريد أن تلهو بنا؟أي تقضي وقتك بنا ولا عمل لك سوى التقليل من انجازاتي الفريدة فقط؟

فأجبته قائلا:

–ولماذا يا عباس تعتقد بأنني أقضي الوقت معك؟ ان الذي قلته لك هو الحقيقة و الواقع، و لن أقتنع ابدا بما قمت به من عمل و وضعته في أساس البيت.

فقال:

–أنا لست مثلك غشيم وساذج الى حد املاء الأساس بمبلغ كبير؟!

فقلت له:

–على الأقل كان ترابا نظيفا و مطمئن منه،بالذات فيما يخص صحة عائلتي و المنطقة عموما، بينما ترابك كان مليئا بالنفايات و الازبال و حتى بقايا الحيوانات النافقة التي تعتبر مصدر خطر على حياة الانسان، لذلك أقول لك: الله يساعد الذي سيشتري منك هذا البيت، بعد تحويله الى مركز لكل الامراض؟!

أجابني عباس قائلا:

–يجب أن تعرف بأنني لن أتركه هكذا،أي قبل القيام بتطبيق الكاشي، سأرش عليه صفيحة أو صفيحتين من النفط الأسود و سأقضي على كل الميكروبات الموجودة؟!

الابواب و الشبابيك تصل اليه مجانا؟!

وما هو سر الاصرار على هذا اللون و التصميم الشاذ؟

داري أنا و داران للثعلب عباس قد وصلت الى المراحل النهائية، لكن هناك ظاهرة غريبة موجودة في أبواب و نوافذ دار عباس التي كانت تشبه ما موجود في أبنية المساجد، اذ تجد فيها النقوش و الرسوم الاسلامية و كذلك الآيات وصورة القبة و المنارة الاسلامية، حتى لون الكاشي كان لونا غريبا و شاذا (أخضر غامق)! فعندما وقع عيني عليه ضحكت مباشرة و قلت مع نفسي (يبدو أن عباس الملعون ينسجم و يرتاح مع مثل هذه الابواب و النوافذ و الكاشي الشاذ من ناحية االتصميم واللون، فأصبح و كأنه يبني مسجدا، فلون الكاشي مثلا كان يشبه (المنديل و الكوفية الموجودة في رأس السادة)! فوجهت حديثي الى عباس قائلا:

–يبدو أنك لم تجد سوى هذا اللون الغريب من الكاشي و تشتريه؟ و هل يا ترى أن هذه الابواب و النوافذ تخص البيوت أم المساجد يا عباس؟ أنا هنا لا أريد التقليل من مكانة بيت الله، لا أبدا، بل أريد أن أوضح الفرق بين البيوت السكنية الخاصة و بيوت الله؟! لكن يا ترى هل لمجرد رخيصة فقط لا أكثر؟

فأجاب قائلا:

ان الذي قام بصنع هذه الابواب و الشبابيك يسمي (أسطة) أي هي مهنته و يعرف اسرارها، لكن يبدو أنه لم يجد سوى هذه النقوش الغريبة في لحظة الانشغال بالعمل! حتى بالنسبة الى الكاشي الذي يبدو عند البعض ليس أفضل حالا من أحوال الابواب و النوافذ، و هناك الكثير يسألونني: أنت لست سيدا لكي تختار مثل هذه الألوان الشاذة!

فقلت: ما هو اسم المعمل الذي قام بصناعة هذا الكاشي و الابواب و النوافذ؟

عندما ذكر لي اسماء هذه المعامل، أحسست بأنها لا تحمل شروط و مواصفات المعمل الحقيقي و يصنعون منتوجاتهم حسب هواهم وبدون مراعاة الجودة و جمال الصنعة؟!

في أحد الايام، وقع طريقي في المنطقة الصناعية، وقمت بزيارة أحدى هذه المصانع بصورة عفوية، حيث كنت أعرف صاحبه، وحين ذكرت له مشكلة النقوش و ألوان الابواب و النوافذ الموجودة في دار عباس المحتال..

وقع صاحب المصنع في حالة استغراب و أندهاش كبير و قال:

–بدلا من تقدير موقفنا و شهامتنا،يتم توجيه العتب و اللوم الينا واتهامي بالتقصير اثناء التصنيع؟!

أنا قلت له:

–من الطبيعي أن تجد المواد التي تباع بالتقسيط الشهري، أن تكون رخيصة أو حتى يمكن تأجيل دفعها،لذلك تجدها غريبة من ناحية الالوان،لكن مع هذا، اذا ستجد ممن لا يدفع مبالغها اليوم، بالتأكيد سيبقى دينا عليه و يجب أن يدفعها عاجلا أم آجلا .

فضحك الأسطة و قال لي:

–انه ليس دينا و لا يعطينا فلسا واحدا من مبلغ تكاليفها؟!

سألته: كيف لا يدفع لكم فلسا واحدا؟

فقال الأسطة قائلا:

–أعطيناه في سبيل الله و خدمة لمقام (التكية و شيوخنا الكرام) لأنه قال لي بأنه يبني (تكية لخدمة الاسلام و المسلمين) ! !

عندما سمعت هذا الكلام الغريب ضحكت و قلت له:

–سترك يا رب العالمين! يبدو أن عباس استطاع خداعك أنت ايضا، و من الممكن قد حصل على (الكاشي) بهذه الطريقة الشيطانية و مجانا باسم (التكية) ايضا ! !

سألني و هو مندهش:

–ماذا تقول؟! هل تقصد بأنه لم يبني تكية أصلا؟!

وضعت يدي على ظهره وقلت له:

–يبدو انك اكثر سذاجة مني، لأنه قام ببناء دارين كبيرتين له و لأبنته،لقد سرق مني من اجل اكمال بناء داره يا عزيزي! !

عندما عرف صاحب المعمل المسكين بهذه اللعبة الشيطانية، ضرب رأسه بكلتا يديه و قال:

–هل تعرف بأن مبلغ هذه المواد التي اعطيتها لهذا المحتال، تعادل رزق عمل اكثر من شهرين! ! و من الصعوبة تعويضه بسهولة؟! آه من هذا المحتال اللعين الذي استطاع أن يخدعني بسهولة ! !

تعاطفت معه و قلت له:

–لا تحزن، لأنك لست الضحية الأولى و يخدعك، هناك قائمة طويلة من اسماء الضحايا، حتى أنا كنت من الذين تعرضت للسرقة و الاحتيال من قبل هذا الشيطان بأسم الأخوة في الدين! لذلك ليس غريبا أن تكون في قائمة الضحايا، حتى انني اعتقد بأنه جلب الكاشي بنفس الاسلوب، لكن المهم هنا، هو أنه ياترى كم سيكون عدد الضحايا الى حين الانتهاء من بناء الدارين!

نعم، استطاع عباس المحتال انهاء البناء عن طريق سرقة الماء و السمنت والطابوق والرمل و الجص، حتى وصلت القائمة الى الحصول على الابواب و

النوافذ و الكاشي مجانا و بأسم بناء بيت العبادة (التكية)! أي استطاع أن يخدع صاحب المعمل ايضا! مع أن صاحب المعمل كان آخر الضحايا في قائمة هذا المخادع، لقد سبقه اصدقائه و جيرانه و شركائه أو الذين تعاملوا معه اثناء بناء داره، لا بل حتى أنه احتال على عمال و أسطة البياض و الصقل الداخلي و الخارجي الذين لم يسلموا من ألاعيب هذا الشيطان، بالذات اثناء (زرع و قياس المساحة) و كيفية تحديد سعر المتر الواحد و حاول الاحتيال في هذه المسألة الاساسية ايضا، مثلا كان يطلب عدم احتساب بعض المساحات بالقرب من النوافذ و الابواب، اذ بحسب سيناريو الغش الذي يمارسه، كان يحاول استثناء بعض الأماكن و المساحات و الزوايا... على كل حال، اخيرا تمكنت من انهاء بناء داري و نقلت أثاث و مواد بيتي الى البيت الجديد، و هكذا بالنسبة الى عباس المحتال الذي استطاع انهاء بناء الدارين و تمكن من بيعهما بمبلغ جيد بعد فترة وجيزة ، بعد ذلك تمكن من شراء ألف متر مقابل منطقتنا و استطاع أن يبني بناية كبيرة تتكون من طابقين، حيث نقل اليها عائلته ! !

و منذ ذلك اليوم اصبحنا جيرانا و حائطا على حائط،بذلك اصبحت على علم بكل حركاته و ألاعيبه و كل سلوكياته،لكني كنت راغبا جدا في أن أكون على علم بما يقوم به من خداع ومكائد و غش، لذلك ليس غريبا في أن أقع في مصيدته ومراوغاته ! !

يا ترى ما هو مهنة عباس المحتال الحقيقية؟!

منذ اليوم الذي تعرفت فيه على عباس المحتال،عرفت بأنه يمتلك دكان لصناعة بعض انواع الأحذية المعروفة في المجتمع الكردي التي تسمى (كلاش)، كذلك كان شريكا مع عبد الرحمن الأسكافي في دكان لمهنة الأسكافي، لكن هذه الشراكة لم تستمر بسبب الخلافات، بالتالي انتهى الى الانفصال، وبقي عباس يحتفظ بدكان صغير يقع مقابل نادي الموظفين، يصنع فيه أحذية (الكلاش) و يبيعها (جملة و مفرد)، بعض الاحيان و اثناء مروري بجانب بيته في فترة الظهيرة، كنت اسمع بعض الاصوات الغريبة وهي صادرة من بيته،علما انني كنت أعرف ما هو سبب هذه الاصوات، كذلك كان بالامكان سماع هذه الاصوات في ساعة متأخرة من الليل، هذا بالاضافة الى رؤية عباس المحتال و هو يحمل كيس في ساعة مبكرة من الصباح،كنت لدي لهفة و رغبة في أن أعرف ماذا يفعل هذا الملعون خلال هذا الصباح و ماذا يحمل، يا ترى هل يحمل الحاجة التي أنا أفكر فيها، و يا ترى من أين يرجع و معه هذا الكيس الغريب و ماذا يحمل فيه؟! ليضاف الى سماع الاصوات الغريبة و لغزها، لكن مع هذا حاولت تقليل الاهتمام بهذه المسائل رويدا رويدا مع مرور الزمن، بحيث لعنت الشيطان الرجيم و قلت: (ليس لدي أي حق عليه،لكي أنبش اسراره و لماذا لا أبتعد عن الاصرار بالتدخل في عمله و شؤونه الداخلية السرية).

خلال احد الايام ذهبت مع أحد اصدقائي القدامى و هو يمارس مهنة (المحاماة)، في زيارة الى دائرة العمل، حيث كان عمه (أي عم المحامي) مديرا لهذه الدائرة و جلسنا مع عمه في غرفته، كنا نتحدث عن ذكريات ايام الدراسة، وفي هذه الأثناء، فجأة فتحوا الباب، دخل اثنان من الرجال الى الداخل و هما يدفعان رجلا ضخما الى داخل الغرفة،حيث كان الرجل يلهث و يتأوه و تمكن من الوصول الى أريكة خشبية طويلة و فارغة التي كانت مقابل المدير، حيث

أضطجع على ظهره، و كان حاله حال الانسان الميت، لأنه لا نسمع منه أي شيء، و عندما شاهد المدير هذه الحالة، تغيرت ملامحه تماما و هو مندهش ألتفت الى الرجلين و سألهم:

–ما به هذا الرجل و مما يعاني يا ترى؟

و هما في حالة حزن و قلق قالا:

–عندما توجهنا الى عتبة باب الدائرة من اجل تنظيفها، وجدنا رجلا و هو ملثم و وجهه معطاة بشماغ، و هو يرتدي معطفا سميكا و يشبه المعاطف التي كانت تخصص للشرطة، لقد كان يظهر و كأنه جثة ميت و تم رميه على حافة الشارع،و لأنه كان يضطجع على جهة من جسده، في البداية اعتقدنا بأنه ميت أو مقتول، لكن عند الاقتراب منه، تعرفنا عليه و تأكدنا بأنه عباس المحتال،لكنه مازال حيا و لم يمت كما اعتقدنا في البداية، لذلك قررنا نحن الاثنين أن نضع يدينا تحت كتفه و رفعناه، لكي نجلبه الى هنا .

ظهر التأثر و الاضطراب على المدير بصورة واضحة، لذا حاول الاقترب منه و هو ينادي بصوت عال:

–عباس .. يا عباس ، ما بك و ماذا حدث لك؟

بينما كان عباس يريد أن يؤكد للموجودين بأنه فاقد للوعي تماما، بحيث لا يشك فيه أحد،وبالذات و هو بحالته المزرية، بالتالي عبرت عليهم تمثيليته المكشوفة بسهولة، لقد كان يبدو و كأنه في حالة نوم عميق أو في لحظات انقطاع تنفسه الاعتيادي! ! حاول المدير ايقاظه من خلال ضربه عدة صفعات على خده و قام برش الماء على وجهه،عندها تحرك قليلا و بدأ بالتأوه والأنين.

و أنا جالس هناك،سمعت اسم عباس الذي جذب انتباهي و سمعي مباشرة،لذلك بدأت بتدقيق و تفحص وجهه، وذلك للتأكد من شخصيته، و هل ياترى هو أم لا؟ مع أن عقلي كان لا يتقبل بأنه شخصية عباس المحتال الذي أعرفه جيدا، لكن مع هذا سألت نفسي:كيف وصل الى هذا المكان ايضا؟ و لماذا لا يكون هو نفسه؟ سيما و أن قامته و رأسه و ملامحه كانت تشبهه كثيرا!

فالمعروف عنه في منطقتنا، بأنه شخصية تمارس خداع و تخلق المشاكل والفوضى، لذلك ليس بعيدا عليه أن يمارس مثل هذه اللعبة المكشوفة،لا بل يليق به؟! و عند تفحصه و ملاحظته بدقة و هو مازال يغطي وجهه باليشماغ و يرتدي معطفا سميكا و خاكي اللون، و هو في عز الصيف! ! حاولت الاستمرار بتدقيق شخصيته، لكنه دون جدوى و لم أتمكن التعرف عليه.

رفع المدير التلفون و اتصل بمستشفى الجمهوري، من اجل ارسال سيارة اسعاف و ادخال عباس المستشفى، و في هذه اللحظات حاولت مرة أخرى بتفحص وجهه و ملاحظة هذا الرجل الذي يدعى عباس، بعد دقائق و صلت سيارة الاسعاف و بمرافقة ممرضين أثنين و دخلا الى الغرفة مع النقالة، قاموا بوضع الرجل على النقالة، مع عملية نقله الى الخارج تمكنت من رؤية وجهه و ملامحه بدقة، تأكد لي هذه المرة بأنه هو نفس شخصية الثعلب عباس المحتال، بحيث تفاجئت و فتحت عيني كليا، لقد أصيبت بأندهاش كبير، بحيث أن عقلي أضطرب ايضا، لكن هذا المخادع كان لديه احساس بأنني قد تعرفت عليه، رغم وجود اليشماغ على وجهه، لذلك اشار لي بغمضة عين و رفع رأسه قليلا، حاول أن يبقى صامدا و ابعاد حالة الارتباك عنه، تحرك قليلا و هز رأسه و هو يتأوه، و قال:

–من حسن حظي أن أجدك هنا، لكي أطلب منك أن تأتي معي حتى الوصول الى سيارة الاسعاف، ارجوك ضع يدك على جبهتي و أضغط عليه، لأن رأسي على وشك أن ينفجر، نهضت من مكاني و وقفت، ثم وضعت يدي على جبهته و ذهبت معه الى خارج الغرفة، لكن الغريب، هو أنه مع خروجنا من الغرفة، ظهر لي و كأنه لم يعرف ما هو المرض طيلة حياته،؟! أي لم يتمرض أبدا، ثم قال لي بصوت منخفض جدا:

–يبدو أنك تعرف مدير دائرتنا؟

أجبته:

–نعم أعرفه !

فقال:

–اذن، اطلب منك أن تساعدني و تحصل لي على تأييد طبي، يؤكد بأني أعاني من مرض القلب وضغط الدم و جميع أمراض الشيخوخة الصعبة،أي من الممكن أن أموت!

أندهشت كثيرا لما سمعته من كلام عجيب، لأنني و منذ أن تعرفت عليه، لم أعرف أو اسمع في يوم من الايام، بأنه كان موظفا حكوميا، لذلك سألته قائلا:

–هل حقا يا عباس أنك موظف حكومي؟

أجابني قائلا:

–ارجوك أتركني و شأني الآن، من المؤكد انني سأوضح لك كل شيء فيما بعد.

رجعت الى غرفة المدير و جلست، المدير سألني:

–كيف تعرف عباس؟

أجبته قائلا:

–انني أعرفه منذ مدة طويلة! !

وهو في حالة الضحك قال لي:

–يبدو أنك مثلي تعرفه جيدا؟

سألته:

–كيف؟

فقال:

–أن عباس هذا الذي يعتبر ثعلب ماكر و مراوغ، و ارجو لا تنخدع به و هو في هذه الحالة الغريبة التي تظهر بأنه انسان مسكين و مريض جدا،لأنه من المؤكد بأنه الآن يطبق السيناريو الجديد ويريد تمريره علينا، بحيث يستطيع أن يخدع الشيطان ايضا، لذا أنا فقدت الثقة به و لا أصدقه ابدا، حتى و لو حلف بكل المقدسات!لأن جسمه كله مكائد و غش، لا بل انه يكذب مع نفسه ايضا؟! لكن ورغم كل ما يفعله من ممارسات شائنة و شاذة، أجد نفسي مجبرا على التعاطف معه و مساعدته ان أمكن!

في مساء اليوم التالي و عندما كنت اتجول امام بيت عباس، رأيته و هو يضحك و صوته يصل الى ابعد مكان، بحيث أحسست بأنه لا يشبه الشخص الذي رأيته في الدائرة و هو بحالة يرثى لها،لأنني في هذه المرة وجدته بحالة أخرى، بعد حلاقة لحيته و رمى اليشماغ و المعطف السميك القديم، كنت في رغبة كبيرة،في أن أكشف حقيقة السيناريو و التمثيلية التي قام بها هناك في الدائرة، لذلك قررت أن أذهب اليه، لكن و قبل أن أتحدث معه،وجدته واقعا في الضحك، و قال:

–بالله عليك، أسألك هل الدور التمثيلي الذي قمت به هناك، كان يليق بي أم لا؟ و هل اني تمكنت من أداءئه بنجاح؟

أجبته و قلت:

–نعم،بالذات حالة المرض؟

اجاب:

–هل تقصد تمثيلية دورالمريض ! !

لذلك سرد لي قصة تعينه بكل تفاصيلها، حسب قوله بأنه تم تعيينه في معمل الالبان بصفة حارس ليلي، و في النهار كان ينشغل مع الدكان و بصنع حذاء (الكلاش) هذا بالاضافة الى معملين آخرين لهذه الصناعة في البيت و الدائرة ايضا ! ! لكي ينشغل في حال رجوعه الى البيت أو ذهابه الى الدوام الرسمي، حيث يبدو أنه لا يتوقف عن صنع الكلاش (ليلا و نهارا) ! !

لذلك ليس غريبا أن يقع في حالة التوسل والألتماس و كأنه يرعى العشرات من الأيتام، حيث كان يقول:

–كما تعرفون بأن مجريات الحياة صعبة جدا ونواجه الكثير من المشاكل و التعقيدات، منها تضاعف اسعار كل الحاجيات الحياتية، لذلك نحاول ايجاد مصادر أخرى لتمشية حياتنا، حيث سنضاعف الجهود و نبحث عن مصادر للرزق، اذ من الصعب أن نتأقلم مع حياتنا الحالية و نحن نراوح في مكاننا.

ثم جاء الى مسألة التعيين في دائرة الألبان و قال:

–كما هو معروف بأن الانسان لا يستطيع العيش بدون المال الذي يعتبر وسيلة مهمة ، أي أن المال يمثل كل شيء في زمننا هذا، و من الممكن أن تعيش بأمتلاك المئة أو الخمسين دينارا الذي يتم تخصيصه للمتقاعد،أي بأمكانه في الحالتين أن يعيش و تدبير أموره،أي حتى بالراتب التقاعدي الى يوم الرحيل عن الحياة، بعد ذلك وصلنا الى الحديث عن كيفية اظهار نفسه مريضا و خداع المسؤولين في الدائرة قائلا:

–اشكر الله على انني لست مريضا و لا أعاني من أي شيء!! لكني مضطر الى البحث عن السيناريو و التخطيط له بصورة محكمة،لكي أتمكن من التقاعد عن الخدمة الوظيفية،باعتبار أنه من الصعوبة اقناع المدير و الموافقة على تقديمي الى اللجنة الطبية الخاصة،لا سيما و أن الانسان لا يبقى كما هو من ناحية الصحة و العافية التي التي يتمتع بها الآن، بحيث وجدت نفسي خلال الشهور الاخيرة،بأنني لا أستطيع القيام بواجبات الحراسة الليلية كما كنت في السابق،أي انني أحتاج قرارا من اللجنة الطبية لأجل أحالتي على التقاعد، لأنني لا أتمكن الاستمرار عشر سنوات أخرى في الخدمة الحكومية، صحيح مازال هناك المدة المتبقية من الناحية القانونية ويجب أكمالها، لكني أجد نفسي عاجزا على تكملتها، لهذا لجأت الى هذه الحيلة و السيناريو لكي أصل الى هدفي، حيث قمت بشراء هدية لفراش رئيس اللجنة الطبية، الذي استطاع أن يعرفني بالدكتور المختص و اقناعه على مساعدتي عند اللجنة، حيث استطعت بطريقتي الخاصة التأثير على عواطف هذا الدكتور و اقناعه، اخيرا تعهد بمساعدتي في كل الحالات و توكلت على الله.

في تلك اللحظات ضحكت على ما سمعته من هذا الثعلب، من كلام غريب و عجيب، و تحدثت مع نفسي قائلا:(اذا تمكن كل أنسان من احالة نفسه على التقاعد لأسباب صحية و بهذه السهولة، بذلك سنجد الكثير من موظفي الدولة أن يلجؤا الى هذه الطريقة و احالة أنفسهم على التقاعد! و من الممكن أن أكون أنا أيضا في مقدمة هؤلاء!! أي من المبادرين في هذا المجال!!).

بعد مرور عدة ايام، رأيت عباس المحتال و أخرج من جيبه كتابا رسميا، سلمه لي و قرأت قرار اللجنة الطبية بأحالة الحارس عباس على التقاعد، لأسباب صحية و منحه عجزا بنسبة مئة بالمئة؟!

عباس المحتال يصل الى المحافظ و يمنحه قطعة أرض مجانا!!

افتتحت معرضي التشكيلي الثاني تحت رعاية المحافظ الذي اعطاني ورقة لكي أقوم بمراجعته بعد انتهاء المعرض، لأجل استلام المكافأة منه، بعد انتهاء المعرض مباشرة، ذهبت صباحا الى السيد المحافظ، فجلست على الكرسي الاول الذي يقع مقابله، نادى على الفراش و سلمه كتابا وقال له:

–اذهب الى مدير المالية و أصرفوا هذا المبلغ لهذا الفنان و تسليمه مباشرة.

كان المحافظ مشغولا بتوقيع الكتب الرسمية التي أمامه بصمت، لكن بين فترة و أخرى كان يلتفت نحوي و يسمعني عدة كلمات غير مفهومة.

في تلك اللحظات دخل سكرتيره الى الغرفة و وضع (كاسيتين فيديو) على المنضدة الكبيرة التي كانت أمامه و قال:

–جاء المصور و جلب معه كاسيتين فيديو مخصص لحضرتكم، حيث كانتا تتضمن ساعة و نصف من اللقطات التلفزيونية التي فيها زيارات السيد المحافظ خلال ستة أشهر الماضية..وعندما سمع المحافظ هذا الخبر المفرح، لم ينتظر كثيرا و قام باستدعاء المصور، لكي يدخل الى الغرفة، في لحظة استغراب عجيب، وجدت المفاجئة الاكبر أمامي و المتمثل بالمصور عباس المحتال؟! فقلت مع نفسي: يا لهذه الكارثة الحقيقية، وهنا السؤال يطرح نفسه: يا ترى ما هو علاقة هذا الثعلب بالتصويرالتلفزيوني؟! لا أعرف كيف وصل هذا الملعون الى المحافظ، و عندما وجدني جالسا هناك، لاحظت أنه قد أرتبك و تغيرت ملامحه مباشرة، لكنه حاول السيطرة على نفسه و كأنه لم يرى أي شيء!!

فجلس على الكرسي و هو مسيطر تماما ! لقد كان جالسا و كأنه لا يعرفني أو لم يعرفني في يوم من الايام، و أنا تعاملت معه بنفس الاسلوب و لم أحاول الاقتراب منه، حيث كنت أتفحص بدقة هذه اللعبة الشيطانية الجديدة التي يقوم بها هذا المخادع المتمرس، بينما كان المحافظ منشغلا بتقليب الأشرطة و وجه الحديث له قائلا:

–قل لي، من أين جاءت هذه الموهبة و الذوق الرفيع، كيف استطعت أن تبدع و تصور في كل هذه الأوقات و الايام، حتى أيام الجمعة والعطل الرسمية، لتبذل جهدا كبيرا من اجل تسجيل هذه الافلام التي تصور نشاطاتي و انجازاتي اليومية، خصوصا و أن هذا العمل الصعب يحتاج الجلوس امام شاشة التلفزيون لساعات طويلة، من اجل انجاز هذا الفلم المهم؟!

كالعادة وجدته يلجأ الى لسانه الناعم و المؤثر،وهو يقول:

–يا سيدي، ان كل ما نعمله و نبذله من جهود هو من اجل الشعب و ابراز انجازاتكم، لكي لا تذهب هباء، لا تنسى يا سيدي بأنك لا تعرف الراحة و تعمل (ليلا و نهارا) من اجل خدمة الشعب! ! لا سيما كيفية توفير الحياة الآمنة و الكريمة لنا جميعا، لذلك يجب علينا ايضا أن نكون في مستوى المسؤولية التي تقع على عاتقتا، لذلك أنا لا أحس بأي تعب اثناء تسجيل زياراتك الكثيرة، بل أعتبره جزء من واجباتي الاساسية، لقد كنت أحاول أن لا أنام ليلا قبل الانتهاء من عملي!

في هذه الاثناء تحدثت مع نفسي قائلا: آه من هذا الدجال الذي لا يشعربأي خجل أبدا من تصرفاته وما يقوم به من احتيال و خداع، بحيث أن المحافظ نفسه لم يسلم من ألاعيبه و طبخته الشيطانية، تصوروا أن يصل الى المحافظ نفسه و باعتباره مصور تلفزيوني بارع و مخلص لعمله؟! هنا نجد عجائب المكر و الخداع النادر، لذلك دائما أتذكر مقولة وعبارة الحاج حسين الذي كان يقول: بامكان هذا الثعلب الماكر الاحتيال على الشيطان نفسه ! !

المحافظ يطلب حضور سكرتيره و قال له:

–اذهب مع كاكه عباس الى مدير المالية و أصرف له (٢٠٠) دينارا!

في هذه اللحظات وجدت عباس الثعلب قد جعل من نفسه (ملائكة ربانية بريئة جدا) و بدأ يكذب قائلا:

–يا سيدي من المعيب جدا أن استلم مكافئة مالية مقابل خدمتكم و خدمة شعبي، أنا عندما قمت بتسجيل هذا الفلم و تعبت فيه، هو ليس من اجل أن أحصل على مكافئة نقدية ياسيدي، لا أبدا؟! قبل خروجه من غرفة المدير، أخرج من جيبه (عريضة طلب) و وضعها امام المحافظ وقال:

–سيدي،لدي عائلة كبيرة تتكون من عشرة أفراد،و أتمنى من جنابكم أن تتفضلوا بمنحي فطعة أرض سكنية، ستجدني شاكرا جدا على عطفكم الأبوي لنا.. في هذه اللحظات التي كان فيها السيد المحافظ يعيش نشوة و فرح وصول أشرطة الفيديو، بحيث لو طلب عشرة قطع، لوجدنا المحافظ يوافق بدون أية تردد؟!لذلك وقع على طلب منحه قطعة الارض السكنية مباشرة! !

بعد لحظات دخل فراش المحافظ و وضع مبلغ ٤٠٠ دينارا امام المحافظ الذي قام بتسليمي مبلغ مائة دينارا و قال:

–أتمنى لك كل النجاح في أعمالك الفنية الابداعية،لأنها تعبر عن اعتزازنا و فخرنا لجهودك في مجال الفن التشكيلي في محافظتنا العزيزة! !

لقد تأثرت كثيرا لما رأيته اليوم،و بدأت بالتفكير و الحوار مع نفسي قائلا (اذا أنا الذي كنت الفنان المبدع وأعطاني مائة دينار مكافئة،لكن نجده يقدم مبلغ مائتي دينار و قطعة أرض سكنية الى هذا المحتال الذي لا يشبع أبدا؟ لذلك استطيع القول بأن نماذج ثعلبية من أمثال هذا المحتال فقط، يليق بمجتمعنا هذا،بحيث بأمكانه أن يستغل اسلوبه البارع في الكذب و وضع المصيدة لأمثال السيد المحافظ،و ذلك من خلال توجيه المديح و التمجيد لشخصه،بحيث استطاع الحصول على هدية غالية جدا بدون أن يتعب نفسه،بينما نجد فنان مثلي الذي بذل جهدا كبيرا، من أجل اخراج لوحاته التشكيلية في افضل شكل فني، لكن المحافظ لم يبال للفن الابداعي و الجهود

الأستثنائية، من اجل تنظيم معرضي هذا،لكني اخيرا لم أجد سوى هذا المبلغ الرمزي؟! مع أنني في البداية كنت مسرورا جدا، باعتبار أن مسؤولا كبيرا مثل المحافظ الذي سيبادر لتقييم وتكريم فنان مثلي بمناسبة تنظيم معرضه الفني، لكني واجهت الصدمة و الأحباط، عنما قام بتكريم هذا المحتال؟!بسبب تسجيل شريطي فيديو!! لقد وصل سوء وضعي الى أنني فكرت بأعادة المكافئة،لكني بصراحة تراجعت خوفا على نفسي!

السفر الى الموصل من اجل شراء ارض الدكتور!

بسبب أن الغرف في بيتي كانت صغيرة و كنا بحاجة ماسة الى مطبخ غربي و واسع، حتى الحديقة كانت صغيرة، لذلك كنت مضطرا الى بيع داري الحالي و بدأت ابحث عن ارض اكبر.

رغم بحثي الكثير، لكني لم استطيع العثور على قطعة أرض سعرها يتلائم مع امكانياتي، فالمبلغ الذي أمتلكه لا يساعدني في مسألة الحصول على ارض افضل و أكبر مساحة، سيما في ظل استمرار صعود اسعار العقارات عموما، مثلا قبل سنة من الآن، لم يكن هناك أحد لديه الاستعداد لشراء المتر بأربعين دينارا، لكن بسبب سوء حظي وصلت الاسعار الى سبعين دينارا للمتر الواحد!!

في احد الايام و خلال بحثي الدائمي عن ارض مناسب، حيث كنت أراجع مكاتب بيع و شراء الاراضي و الدور السكنية، و قد كتبت اسمي في احدى هذه المكاتب، و منها مكتب مام رسول، فجلست في هذا المكتب، و كان هناك حديث عن ارتفاع اسعارالاراضي و العقارات، في هذه اللحظة وجدت المفاجئة أمامي كالعادة، حين دخل عباس المحتال و بدأ يسأل عن وضع سوق الاراضي، حيث كان يبدو لي بأنه يزور هذا المكتب بالذات كثيرا، لهذا كان يظهر بأنه قريب منهم جدا،لاسيما وأنني كنت أجده يتحرك و يبحث داخل المكتب بحرية تامة و

كأنه شريك معهم! !ففي مساء نفس اليوم و عند مروري امام بيت عباس الذي ناداني و سألني قائلا:

–يبدو أنك مشغول من اجل شراء قطعة ارض سكنية؟

أجبته قائلا:

–نعم لدي مثل هذه الرغبة، لكن المبلغ الذي أمتلكه لا يكفي لشراء قطعة ارض مناسبة، و لا استطيع دفع كل ما أملكه كله في شراء الارض فقط، لأنني حينها لا أتمكن من بناء الدار الذي أريدها.

وقع في الضحك و قال:

–يا عزيزي لا تقوم بتعقيد الأمور، بل أن المسألة أسهل بكثير مما تصورت انت، طيب ما هو فائدة وجودي هنا؟ لا تقلق يا جاري العزيز، سأحاول أن أشتري لك ارضا معي أنا،و سعر المتر الواحد (ثلاثين دينارا) فقط!

ضحكت على ما سمعت منه من كلام، وقلت له:

- ما هذا السعر يا عباس؟! وهل تريد أن تلهو بعقلي الذي لا يزال يقظا؟!

حاول الاقتراب مني اكثر و وضع يده على كتفي و قال:

–انت عندي بمثابة الأخ الاكبرو كيف يمكنني اللهو مع رجل محترم مثلك،أنا أتعامل مع الجميع بأحترام و ليس معك فقط! !

يبدو انه يريد الدخول في الموضوع اكثر و قال:

–اذا كنت لا تثق بي و بما أقوله لك،طيب تعال معي و ستجد خلف بيتكم قطعة ارض بمساحة ألف و مئتي مترو سنقوم بشراءه سويا، لذلك يجب أن نذهب الى الموصل.

أنا أريد منك ترجمة ما أقوله الى العربية، لكن بدون أن تضحك؟!

اصيبت باندهاش عندما سمعت منه و هو واثق من نفسه تماما،لذلك سألته قائلا:

–و لماذا موصل؟!

أجاب:

–صاحب هذا الملك، هو دكتور مصلاوي و عيادته موجودة في منطقة (باب الطوب) وسبق لي أن قمت بزيارة هذا الدكتور،لكني لم أجده .

وقعت في التفكير بحديثه الذي لم يدخل عقلي و سألت نفسي هل يا ترى انها بمثابة (لعبة أو مكيدة جديدة) بحيث تذكرت ما قام به سابقا من ألاعيب و خداع،استرسلت في الحديث مع نفسي قائلا (اعتقد بأنه قد يأخذني الى الشط و يرجعني عطشانا ! ! لأنني أحس بأن هناك لعبة جديدة وراء ما يقوله) قمت بتحليل ما قاله تحليلا دقيقا، لكن دون جدوى!) مع هذا قررت أن أسافر معه الى الموصل و سأعتبره سفرة اعتيادية و بمثابة تغيير جو، و سأستغل هذه السفرة من اجل شراء بعض المواد و السلع الضرورية للبيت من الموصل .

في الصباح توكلنا على الله و توجهنا نحو الموصل، ونحن في السيارة قلت له:

–أنت كيف تعرف هذا الدكتور؟

قال و هو يضحك:

–أخي العزيز، في ذلك اليوم الذي جئت فيها الى مكتب (مام رسول) أنا كنت مشغولا بمراجعة و تفحص قائمة الاسماء؟ فوجدت اسم هذا الدكتور في الدفتر، حيث تمكنت من الحصول على عنوانه و رقم تلفونه.

في تلك اللحظات نسيت نفسي و قلت له بصوت عال:

– يا محتال، حتى الشيطان نفسه لا يستطيع الوصول ال هذه الفكرة الجهنمية؟ !

أجابني بغضب قائلا:

–كيف تقول لي (محتال)؟ أنا أعتبره (ذكاء)! و هل تريدني أن أكون مثلك فقير الحال و انتظر المعجزة تأتيني الى البيت أو أن أتعرض الى استغلال هؤلاء الدلالين الانتهازيين.

لذلك حاولت تصحيح الخطأو ما قلته بكل الطرق،من اجل تطيب خاطره و التصالح معه، من خلال تقديم الاعتذارات له، و عندما وصلنا الى الموصل،

وجدنا أن الدكتور لم يصل الى العيادة، لذلك جلسنا في صالة عيادته و ألتفت عباس نحوي قائلا:

–ان عملنا هذا يحتاج وضع خطة محكمة،من اجل التحاور مع دكتور ذكي، خصوصا و أن تجربته الطويلة في التعامل مع جميع شرائح المجتمع،لذلك كان من الضروري أن نكون دقيقين في مسألة توصيل ما نريده، لكي يفهم منا و يستوعب سبب سفرتنا الى الموصل، بحيث أن نجعل الدكتور أن يثق بنا،عليه يجب عليك أن تكون يقظا و تترجم ما أقوله الى العربية، ولا تحاول أن تسألني (لماذا و ما هو السبب؟)

وأنا أضحك قلت له:

– ماذا تعني بخطة محكمة؟ يا هل نحن نقوم بتمثيل دور درامي؟ فنحن جئنا الى هذا الدكتور الذي يرغب **ببيع** أرضه و نحن نريد أن نشتريه منه مباشرة، لذلك سنوجه له سؤالين: هل تبيع الارض أم لا؟ و ما هو سعرها؟! أندهش عباس مما قلته وأستهزأ بي قائلا:

–انه كلام هراء و تؤكد بانك ساذج! مع انك تسمي نفسك مثقف!! يبدو أنك قد تصرفت بهذه الطريقة في حياتك دائما، لهذا لم تصبح صاحب شيء، أرجو أن لا تجعل مصير هذه الأرض و سعرها، مثل مسألة ارض عبدالستار! حيث بقيت أنا مصرا على سعري و بدون زيادة فلس واحد له،ثم جاءت المفاجأة من عندك و قمت بزيادة دينارين للمتر الواحد!

فقلت له:

ان الذي حدث سابقا اصبح من الماضي و يجب أن ننساه و نتركه خلفنا، لنرجع الى مسألة ارض الدكتور،أنا رأيت هذه الارض و تقع الى جانب ارض أحد الأساتذة الذي يطلب سبعين دينارا للمتر الواحد،علما أن مساحتها أقل من مساحة ارض الدكتور، لذلك نتمنى أن لا يطلب منا مبلغ سبعين دينارا ايضا،خصوصا و أن مساحتها كبيرة جدا، لنتفق على تحديد مبلغ ستون دينارا للمتر الواحد وبدون أية زيادة.

هز رأسه و قال:

–أنت انسان عجيب، أنا أقول لك (انه ثور) و انت تقول (أحلبه)؟! يا ترى أنك لم تفهم ما قلته لك منذ يوم أمس؟!

يبدو أنه لا يريد أن يفهم، بأنني مازلت غير مقتنع بكلامه و قلت:

–يا ترى هل هذا الدكتور حصل على الشهادة مجانا و بدون أي تعب؟! و هل انه ساذج و يقتنع بما تقوله بالسهولة التي تتصورها؟!

أجابني قائلا:

ان هذه المعاملة ليس له علاقة بالذكاء والشطارة، فهذا الدكتور اشترى الارض قبل عشرين عاما بسعر (خمسون فلسا) للمتر، و ذلك من عائلة (ملا فندي) و منذ ذلك اليوم لم ير مدينة اربيل.. لقد أندهشت كثيرا من كل هذه المعلومات التي لديه حول هذا الدكتور، و كيف حصل عليها! تصوروا حتى أن دائرة الاحصاء ليس لديها كل هذه المعلومات، لا أعلم من اين حصل على هذه الموهبة و الذكاء الخارق، فلو اراد الاحتيال على أي شخص، سيتجه نحو الحصول على كل المعلومات الشخصية، لا بل سيحاول الوصول الى جده السابع!! و في هذه اللحظات و صل الدكتور الى العيادة...كان كبيرا في العمر و هزيلا، يستعمل عوينات طبية و ظهر بأن سمعه ضعيف، لهذا وضع جهازا طبيا للسمع في اذنه،جلس في مكانه و وضع يده على الجرس ، ثم جاء الفراش و قال له:

–ليدخل الضيوف

دخلنا الى الغرفة و جلسنا نحن الاثنين مقابل الدكتور، و بعد السلام و التحية، ألتفت عباس الى الدكتور و تحدث باللغة الكردية قائلا:

–نحن جئنا من اجل شراء أرضك الموجودة في اربيل؟

هز الدكتور رأسه و قال:

–تحدث باللغة العربية، لأنني لم أفهمك؟

ألتفت عباس نحوي قائلا: ترجم ما أقوله الى اللغة العربية؟

بدأ عباس الحديث و أنا أقوم بالترجمة حسب امكانياتي، لقد كان يستعمل عبارات كردية هي اصلا صعبة، لذلك كنت أعاني كثيرا حتى الوصول الى المعنى المستهدف، فوصل بي الأمر الى أن اشعر بعجز وكنت أنوي التراجع عن الترجمة، فالمهم انني وجدت عباس يقول للدكتور:

–أنا رجل فقير و محدود الدخل، أمتلك عددا من رؤوس الاغنام مع خيمة قديمة و مهترئة، لأنها قديمة جدا، و هذا هو رأسمالي الوحيد الذي اعتمد عليه، هذا بالاضافة الى عائلة كبيرة، أي انني أعيش في ظل ظروف اقتصادية صعبة، و لا أجد المراعي في اطراف المدينة و كما كان في السابق، البلدية تحاصرني دائما و لا تسمح لي أن أرعى الاغنام حسب رغبتي و تفرض علينا شروط تعجيزية، لذلك أرى أرضك جيدة يا دكتور، لكي أرعى فيها أغنامي،لاسيما و أنها تقع خارج المدينة ومنطقة فارغة من السكان، هذا بالاضافة الى وجود مياه الامطار و المياه الثقيلة التي تأتي من البيوت،لهذا سنجد المنطقة خضراء طيلة ايام السنة،أنا قررت أن اشتري الارض بما أملكه من أموال، و سأقوم بنصب خيمة في وسط الارض و أنقذ نفسي من معضلة الايجار.

استغرب الدكتور من مما يراه و يسمعه من كلام غريب،بحيث تحير و هو عاجز عن هل يصدق ما يقوله هذا الرجل، و لا يريد تصديق بأنه يريد استغلاله و الحصول على الارض برخص التراب.. في لحظة من اللحظات كان يحس بمرور تيار بارد في جسده الهزيل، لكنه بقي ينتظر ما يأتي من مواقف وكيفية التعامل معها، سيما مع وجود ضيوف قادمون من بعيد، و عندما انتهى الضيف من حديثه، أحس الدكتور بتعاطف شديد و هو شبه ملتصق بالكرسي الذي يجلس عليه!! لكن و بسبب صعوبة حالته النفسية و محاولة اخراجه منها،كنا مضطرين أن نرفع صوتنا قائلين: يا دكتور.. يا حضرة الدكتور.. اخيرا خرج من الحالة التي هو فيها، نتيجة تعاطفه و تأثره الشديد بما سرده ضيفه من معاناة و صعوبات!! بينما نجد عباس يسير على نفس الوتيرة، من

الحديث المؤثر وكأنه قد جاء حديثا من القارة الافريقية التي أبتلى شعوبها المسكينة بالجوع و القحط و صعوبات الحياة،ألتفت الى الدكتور قائلا:

–ماذا تقول يا دكتور بالنسبة الى مسألة بيع الارض؟

أجاب الدكتور بكلام غير مفهوم و هو يسأل قائلا:

–هل من المعقول أن تبقى أربيل كما هي و لم تتغير خلال عشرين سنة الماضية، بحيث أن لا تصل حدودها الى المنطقة التي فيها قطعة أرضي؟!

فأجابه عباس و هو يضحك قائلا:

–حتى و لو بعد عشرين سنة أخرى لن تصل حدود المدينة الى هذه المنطقة؟! لهذا تراني أركز عليها و أرغب بشراءها،حيث أريد تحويلها الى مرعى لأغنامي!!

عباس المحتال، الذي يظهر و كأنه ثعلب ماكر، و يبدو أنه سيستمر على اسلوب وضع المكائد.. لكن الدكتور المصلاوي قد يعكس وجها آخر من السياسة الثعلبية التي تجعلنا أن نتذكر المقولة المشهورة في كل انحاء العراق و القائل (عاشر الواوي و لا تعاشر المصلاوي!!) يبدو أنها مقولة قريبة جدا من الواقع، لكن المفاجئة جاءت و ظهرت من خلال الدكتور الذي يبدو أنه اكثر ذكاء و يقظة من المخادع عباس رغم فارق العمر،مع أن عباس قد بذل جهودا حثيثة، من اجل اقناع الدكتور و تحديد سعر ملائم لهذه الارض، هذا بالاضافة الى أنه سيكون لنا رأي ملائم حول هذه المسألة، لكن الدكتور لم يتأثر بما سمعه من حديث مؤثر و سرده لأحواله الصعبة و بطريقة الثعلب الماكر الذي يريد أن يأخذ الارض بكل وسيلة؟!

اخيرا سألنا الدكتور:

–هل لديك رغبة في بيع الأرض أم لا؟

أجاب قائلا:

–نعم أبيع

قلنا له:

–اذن قل لنا المبلغ الذي ستطلبه ؟

أجاب الدكتور قائلا:

–يجب أن تعلموا بأن المعلومات التي التي تم ذكرها حول الارض،أفشل كل حساباتي،بحيث جعلني أن أرجع الى المربع الاول، أنا أفهم جيدا و لدي معلومات عن وضع هذه الارض و موقعها الاستراتيجي في حدود مدينة اربيل و بما فيها كيفية تحديد السعر ايضا ! !أي لي علم بكل شيء مسبقا، على الخصوص اسعار الاراضي، و كنت قد أوصيت (مام رسول) أن يبيع لي الارض بسعر جيد، و الآن أجدكم أمامي و قد جعلتم الارض و كأنه حيوان نافق ! ! أي انكم تريدون التأكيد بأنه مهما دفعتم لي من سعر، سيعتبر بمثابة خسارة بالنسبة لكم؟ ! شعر عباس بفرح كبير عندما سمع هذا الكلام من الدكتور الذي يبدو بأنه محبط و مرتبك،لذلك حاول عباس استغلال هذه الفرصة سريعا و لم يستطيع السيطرة على نفسه،فأخرج كيسا مليئا بالفلوس و من فئة (الخمس و العشرون) دينارا و و جه حديثه للدكتور قائلا:

–سأحدد المتر بثلاثين دينارا لي أنا،حتى و لو كانت خسارة، لأنني أريد تحويلها الى مرعى، أي لا أريدها لبناء قصر الزهور عليها ! !

في هذه اللحظات هز الدكتور رأسه و هو في حالة اندهاش و حيرة كبيرة و قال لنا: بأنه قرر أن يزور مدينة اربيل، من اجل التأكد من سعر الارض و مقارنته مع الاراضي الموجودة في المنطقة، وعند التأكد سأتعهد ببيعه لكم أنتم.. و عندما قال هذه العبارات الاخيرة التي جعلت عباس المحتال أن يفقد الأمل بشراء الارض مباشرة و اصيب بأحباط كبير، ألتفت نحوي و قال:

–فشلنا في تحقيق هدفنا ! !

مع أنني حزين بأن مساعينا لم تنجح في اقناع الدكتور، لكن مع هذا كنت مسرورا،لأن مكيدة و خداع عباس المحتال قد فشلت ايضا ! ! نهضنا و ودعنا الدكتور،لكن و قبل أن نخرج طلب عباس من الدكتور بأن يكتب له (كارتون حليب للأطفال) بحجة بأنه لديه طفلين توأمين و من الولادات الحديثة، هذا

بالاضافة الى طفل آخر مازال يرضع الحليب و زوجته مريضة و طريحة الفراش؟!! و لا يوجد أحد يرعى هذا الطفل المسكين..أستجاب الدكتور لطلبه و كتب الكمية التي طلبها و أرسله الى الصيدلية الموجودة تحت عيادته، و من حسن حظ عباس بأن زوجة الدكتور هي صاحبة الصيدلية!! بحيث استطاع الحصول على كارتون الحليب بسهولة، بذلك نستطيع القول بأن الله هو القادر ويتمكن من هذا المحتال الخطير!! أي اذا اراد عباس أن يخدع أحد، تأكد بأنه لن يفلت منه أبدا و لابد أن يقع في مصيدته،اي استطاع تعويض فشله في الحصول على الارض، من خلال الحصول على كارتون من حليب الاطفال!! و الا هل من المعقول أن يكون لهذا المحتال العجوز (طفل رضيع) و هو في هذا السن المتقدم من عمره؟!

وقع عباس المحتال في الضحك و قال:

–لا تستعجل، لأنه لكل شيء أسبابه، أنظر فقط و سترى ماذا سيفعل عباس،أي لن أكون هذا العباس الساحر الذي تعرفه و يرفض أن يخسر!

بعد ابتعادنا عن المنطقة، استطاع بيع كارتون الحليب بسعر تجاوز سعره بأربع مرات و وضع المبلغ في جيبه!!

ثم قلت و أنا مندهش:

–ما هذا؟

أجاب قائلا:

–يجب علينا تعويض مصاريف السفر!

كيف تمكن عباس أن يبني الدكان بدون اجازة بناء!!

كما هو معروف لدى الجميع بأن اغلبية الدور الموجودة في حي المفتي، تم بناءها من قبل عباس المحتال،لهذا تجد الكثير يشيرون الى هذا الحي باسم (حي عباساوه) لكن اخيرا أدرك عباس بأن عملية بناء الدور و بيعها لم يبق لها رواج و مكشوفة ألاعيبها!! في ظل قلة الاراضي المعروضة للبيع و ارتفاع

اسعارها، لا بل وصل الى ارتفاع اسعار مواد و مستلزمات البناء وأجرة العمال ايضا، بحيث تعقدت حركة بناء و بيع الدور كثيرا، لذلك تجد الثعلب عباس مضطرا الى أن يبحث عن لعبة أو مكائد جديدة، ليتمكن الحصول على صيد دسم ! !

لقد أثبت عباس بأن رجل مرهق جدا، و لا يعرف الراحة و الجلوس في مكانه،تراه مشغولا ليلا و نهارا بكيفية الحصول على رزقه اليومي، تراه مشتت الافكار و المخططات، ان كل من يراه في هذا الحال المزري،سيتعاطف معه و يرأف بوضعه ! لذلك ليس غريبا أن تراه ينتحب و يتوسل و لن تجد على لسانه سوى مفردة الفلوس ! !

في صباح احد ايام الجمعة و عندما وقع طريقي على بيت عباس المحتال، رأيت مجموعة عمال و هم يحملون مستلزمات العمل و منشغلون بالعمل في باحة بيت عباس، أي يقومون بعملية الهدم، و هناك مجموعة أخرى مشغولة بعملية قطع اشجار البرتقال و العرموط ! ! لقد تأثرت كثيرا بعملية القطع هذه، أحسست و كأنه هناك نار يحترق داخل رأسي، بحيث تصاعدت من أعماقي آهات بصمت و بدأت أتحدث مع نفسي (يبدو لي بأن هذا الرجل اصيب بمرض " الخرف أو الزهايمر" الذي دفعه الى هدم و تخريب هذه الحديقة الجميلة، وهل أنه يتوجه الى تطبيق سيناريو جديد؟ !).

عندما ذهبت الى السوق و رجعت،وجدته يبني غرفة في المكان الذي تم هدمه و فتح لها باب خاص من الجهة الخارجية.

ذهبت اليه و سألته: ما هو الهدف من بناء هذه الغرفة الصغيرة؟ و ماذا تفعل بها؟ !

عند الاجابة شرح الكثير و قال: ان المصاريف كثيرة و لا تنتهي ابدا، تصور كيلو الدجاج وصل الى دينار و نصف الدينار و اللحوم الحمراء الى خمسة دنانير و طبقة البيض بدينار واحد و علبة اللبن بدينارين ! !

أجبته قائلا:

ماذا تقصد يا عباس؟

أقصد انني قمت ببناء هذه الغرفة الصغيرة لكي تصبح كوخا لتربية الدجاج و بعض الحيوانات الأليفة!! علينا أن نأخذ الاحتياطات و المبادرات،قبل أن نواجه فجأة الصدمات و الصعوبات الاقتصادية الصعبة،لا سيما و أن الاحداث كانت تتسارع وتيرتها سريعا في تلك الايام،لذلك ظهر مجموعة من العمال يتسلقون الجدار و ثبتوا بعض الاخشاب في موضع السقف و غطوها بطبقات معدنية و التراب، اخيرا طبقة من مادة السمنت، لتتحول الى سقف طبيعي،هذا بالاضافة الى تبيض الجدار الداخلي و صب الأرضية بالسمنت.

فكرت بما فعله و يفعله هذا الثعلب الماكر و سألت نفسي قائلا:(هل بناء كوخ يحتاج كل هذه السرعة؟)

توجهت اليه، سألته مرة أخرى و بشكل حازم:

–اذا كان هناك ممن لا يعرفوك بدقة، فأنا أعرفك و أقرأ سلوكياتك ومكائدك؟ أنا أعرف بأن الشيطان نفسه لا يستطيع التخلص من مكائدك الخبيثة،لذلك أريد أن أعرف ما هو هدفك الحقيقي و بدون أخفاء الحقائق؟

وقع في الضحك و قال: بمقدساتي لو كنت موجودا قبل نصف ساعة من الآن و وجهت لي هذا السؤال، لوجدتني لن أجيب على سؤالك هذا! !لكن مع هذا سأجيبك..

أجاب قائلا:

–أنا قمت ببناء هذا الدكان من اجل أن أرتزق منه، و ليس كوخا لتربية الدواجن و الحيوانات الأليفة، ولهذا السبب سأقول لك الحقيقة،خصوصا و أنه قد تم أكماله،و تمكنت من أن أقطع الطريق على البلدية،بالتالي الأفلات من المراقبة و المتابعة أو ايقاف عملي، وذلك بالاسراع و أنهاء البناء بسرعة!!

فقلت له:

–لكني عندما سمعت منك كل هذا الكذب ،لم أصل الى قناعة تامة يا عباس؟!

أشار بيده الى دكان مام محمد قائلا:

–هل ترى هذا الدكان؟

أجبته قائلا:

–نعم و ما هو علاقتك بهذا الدكان؟

فقال:

–منذ اكثر من سنة أحاول بناء دكان على أرضي،لكنني لم أتمكن بدون بحث هذه المسألة مع هذا الرجل، و ذلك خوفا من ردة فعله،لقد حاولت سابقا بأن أقوم ببناء دكان في احدى زوايا الحديقة،بعيدا عن عينه و مراقبته،لكن و لسوء حظي كنت أجد هذا اللعين أمامي و هو يفاجئني،خصوصا و أنه كان يقوم بالتنسيق مع مراقب البلدية و الجهات المختصة بهذه المسألة،أي قام بالأخبار عن ما كنت أقوم به،رغم علمه بأنني قد صرفت أموال و جهود كثيرة، ،بحيث استطاع اخيرا وقف عملي،بالتالي افشال مشروعي، لهذا لم أجد أمامي حلول أخرى سوى اللجوء الى هذه الحيلة،و ذلك من خلال الدعاية بأنني أقوم ببناء (كوخ للدجاج) من اجل تربية الدواجن و بعض الحيوانات، لكي لا يفكر مام محمود أو أي شخص آخر،باعلام رجال البلدية، بالتالي اعاقة مشروعي،لذلك حاولت اسراع وتيرة البناء و انهاء العمل بوقت قياسي و بصورة سرية!!

كيف يصبح وكيلا لشركة السكائر في اربيل؟

ليس غريبا أن نجد ذيل عباس المحتال يتحرك في كل مكان، بالذات مع كشف سيناريو أحداث الدائرة التي كان موظفا فيها، ونجاح مخطط محاولة الاحالة على التقاعد، ثم مجريات ما تبقى من الاحداث الغريبة، بما فيها بعض المعاملات غير القانونية و السرقات في عز النهار و امام عيون الناس!! أي أصبح مثل القطة المشاكسة التي تستطيع الوصول بسهولة الى كل ثقب و زاوية.

بعد مضي اكثر من اسبوع وجدت عباس المحتال يرافق (مام محمد) و هما يحملان فايلا شخصيا تم تثبيته تحت (الابط) و يتجهان سويا نحو معمل السكائر، أي منشغلان بالذهاب الى مراجعة المعمل يوميا.

ذهبت الى مام محمد و سألته:

–يبدو أنك مشغول بمعاملة مشتركة مع عباس المحتال سويا، بحيث يظهر عليكما الانسجام بصورة واضحة؟!

أجابني و هو يضحك قائلا:

–حفظك الله يا عزيزي، لكن لحد الآن لم نصل الى أية نتيجة رغم الجهود الكثيرة، نحن نراجع معمل السكائر بصورة مستمرة، خصوصا بعد نشرها اعلان الى اللذين لديهم رغبة الحصول على وكالة توزيع السكائر، حيث تفرض شروط يقتضي التقييد بها.. عندما سمعت مام محمد، أشفقت عليه كثيرا، لأنني كنت أخاف من أن يتورط في لعبة يجهلها، لذلك قمت بتحذيره و تنبيهه من أي سيناريو يخطط لها هذا المخادع الذي يرافقه الآن،أي أن يكون على حذر من أية مكيدة يرسمها و يخطط لها هذا الثعلب (عباس) الذي يرافقه عند مراجعته للشركة، أي الحذر من عدم الوقوع في مصيدته و هو أصلا يجهلها،

كما حدث معي أنا عندما أخذني معه الى سفرة الموصل، بدون الحصول على فلس واحد!

فالمعروف عن هذا الثعلب بأنه يمتلك موهبة نادرة في المراوغة و الاقناع، بحيث يجعلك أن تقتنع بأنه يستطيع تحويل حياتك الى جنة! ،بالتالي يوقعك في مخططاته بسهولة و اثبات بأن ما يقوم به من جهود حثيثة، هو أصلا من أجلك!! بينما في الحقيقة يحاول أن يجعل الجميع جسرا لتحقيق مصالحه و أهدافه الشخصية فقط لا أكثر؟! لا بل انه يحاول أن يثبت بأن ماقام به هو عبارة عن فضل و معروف و احسان!! لكن من جهة أخرى يجب على عباس المحتال أن يعرف جيدا، بأن ألاعيبه و مكائده لا تمر بسهولة على جميع الناس!

بعد مضي عدة شهور، صادف طريقي المرور امام دكان (مام محمد) و سلمت عليه و دعاني للجلوس عنده،لقد لاحظت عليه التذمر و الضجر، لا بل كان يتحدث مع نفسه قائلا:

–انشغلت اكثر من شهرين مع هذا الماكر و اللعين، هذا بالاضافة الى تحمل مصاريف النقل و الدعوات و تقديم الهدايا بكافة اشكالها ويأخذني معه الى المراجعة من دائرة الى أخرى، و من شخص الى آخر، بحيث انني تركت و نسيت اعمالي الذي كنت اعتمد عليها لأدارة رزقي اليومي، كل هذا من اجل الحصول على وكالة بيع السكائر بالجملة و المفرد (لي وله) و أخيرا استطاع الحصول على وكالة له فقط!! و ذهب كل ما قمت به من مصاريف و تعب في مهب الريح و لخدمة هذا الثعلب ومصلحته الشخصية فقط لا أكثر!! حيث قال لي بأنهم يريدون و كيلا واحدا فقط!!

فقلت له:

–ولماذا لم يتحدث معك بصراحة من البداية،لكي لا تصرف كل هذه المصاريف و التعب، طيب كيف منحوه اخيرا وكالة واحدة و له شخصيا فقط؟

أجابني قائلا:

–كما هو معروف بأنه ثعلب وله علم بكل المعلومات و القوانين و يحفظها، بحيث يستطيع عن طريق شرط واحد أن يحصل على الوكالة و تهميش باقي الشروط التي تخصنا و يضعها على جانب! !

لم أفهم سر مسألة الشرط الوحيد،لذلك سألته قائلا:

–أنا لم أفهمك،أرجو توضيح ما تقوله رجاء؟

بدأ يسرد لي مسألة هذه الوكالة من البداية حتى النهاية قائلا:

–جعلني أن أتابعه وأمشي معه خطوة أثر خطوة، بحيث بحثنا في كل مناطق السوق، لا سيما زيارة الكراجات و المخازن الكبيرة، وذلك من اجل تأجير كراجين أثنين، واحد لي و الأخرى له،من جهة أخرى، لكني لم اعلم مسبقا بما كان يفعله و يقوم به هذا المخادع من مخططات خبيثة، حتى انني لم أفهم أهدافه الحقيقية، فاذا صادف و سألته، كان يقول لي (أنت تعال معي و تابعني فقط و لاحظني ماذا أفعل و لا تتحدث! !) و اخيرا أتفق مع صاحب كراجين من اجل تأجيرهما، واحد لي و الأخر له، في الحقيقة لم يكن لديهم رغبة بتأجير الكراج، لكن هذا المخادع الكبير تمكن من اقناعهم بحجة أنه قام بحصاد كمية كبيرة من الحنطة و الشعير و لا يملكون مكانا كافيا لخزنها، اتفقوا اخيرا على التأجير لمدة شهر واحد و بمبلغ (٥٠٠) دينار،بعض الاحيان كنت أنوي أن أقول الحقيقة و كشف الأمر،لذلك حاول منعي من المشاركة بالحديث، لكي لا اكشف مخططاته امامهم و بأنه يؤجره من اجل (وكالة السكائر)! و لا علاقة له بمسألة حصاد و خزن (الحنطة و الشعير)! ! لكن الخطأ الذي أرتكبته أنا،يتمثل بأخذ موقف الصمت حتى لحظة الانتهاء من الاتفاق،أي لم أحاول كشف حقيقته مبكرا، وعندمارجعنا سألته: يا ترى هل أخذت احتياطتك في حال كشف الحقيقة!

أجابني قائلا: كما هو معروف بأن فترة خزن الحبوب لا تطول كثيرا وتكون لفترة قصيرة، بحيث يجعل صاحب الكراج أن يقبل بتأجيرها، بعكسه اذا علم بأن التأجير سيكون لغرض آخر، تراه لن يقبل الا بمبلغ عشرة آلاف (سر

قفلية) بينما نحن نحتاجه لمدة شهر واحد فقط و سنقوم بتسليم المفتاح الى صاحب الكراج ! ! ... استرسل مام محمد في سرده قصته قائلا:

–و أنا قلت له: ان الانسان المؤمن لا يكذب و يقول الحقيقة،بذلك يمكن تفادي كشف سيناريو الاحتيال. ! !

لقد قال لي عباس: يجب أن تعرف بدون سبك هذه الحيلة الشيطانية،كان من الصعب جدا الوصول الى الاتفاق و التأجير، وكنا نفتقد احد الشروط الاساسية لمنح الوكالة و يتم رفض الطلب و المعاملة و اهمالها، خصوصا هناك لجنة خاصة تأتي من شركة السكائر من اجل كشف و رؤية الكراج و مساحته، ثم و استنادا على هذا الكشف سيتم منح الوكالة.

مع انني كنت مشغولا و لدي مواعيد، لكني لم أرغب أن أترك مام محمد ،و ذلك بسبب لذة سرد هذه القصة التي تكشف لعبة جديدة في اطار احتيال،وذلك من قبل الثعلب عباس ، لذلك صممت على سماع قصة مام محمد المثيرة.. من جهة حاصرتني ضحكة، و من جهة أخرى كنت أشفق عليه،لأنه اصبح أحد الضحايا، لكنه لم يتوقف عن سرد قصة الحصول على الوكالة قائلا: بعد صرف كل هذه المصاريف و الانتظار و اغلاق دكاني الذي يعتبر مصدر رزقي، هذا بالاضافة الى بذل جهود كثيرة، ذهب كله (بلاش)؟ ! ! اخيرا حصل هذا المخادع على الوكالة لوحده فقط و اصيبت أنا بأحباط كبير.

كان لدي الرغبة بالضحك مرة أخرى، بعد أن سمعت من مام محمد أحدى المفارقات المثيرة الذي لم يتوقف عن الحديث عن تجربته المريرة مع هذا المحتال قائلا:

–مع هذا يجب أن أقول الحقيقة ، التي تؤكد على عدم تحميل عباس المحتال لوحده ذنب فشلي في الحصول على الوكالة، بل أنا أيضا أتحمل وزر هذا الفشل، لأنني سمعت كلامه بدون التأكد من تصرفاته ومتابعة تعاملاته و سلوكياته الشاذة ، لاسيما و أنني كنت أرافقه الى كل مكان، حتى أننا بدأنا

معا بتنظيم المعاملة و تقديمه الى الشركة، في هذه اللحظات المثيرة خرج منه آه مؤلم و حسرة قائلا:

–الذي يؤلمني كثيرا، هو أنني عندما أسرد هذه القصة لأي شخص، ستجده يحملني أنا ذنب الفشل في هذه العملية ! !

ألتفت اليه و قلت له:

–هل تعرف ما هو ذنبك؟ !

أجاب قائلا:

– ما هو الذنب الذي أتحمله أنا؟

أجبته قائلا:

–كان بجب أن تسأل عنه و كيف يتصرف هذا المحتال و تتأكد من شروط منح الوكالة بنفسك،و منها شرط توفير كراج أو مخزن ،حيث كان بأمكانك أن تعرف بأن الوكالة ستمنح لشخص واحد فقط .

هز رأسه و قال: أنت تعرف هذا المحتال أكثر مني أنا و تعرف سلوكياته و لا يمكن الوثوق به، لكني و بسبب طيبة قلبي و اعتمادي على الله،حيث لم اتوقع أن ارى عباس فاقدا للضمير الى هذا الحد، رئيس اللجنة قال لي: بأنه وضح الشرط الاساسي لعباس المحتال منذ مدة طويلة، أي أكدنا لعباس: بأننا نريد وكيلا وحيدا فقط، و سنعطيها الى الشخص الذي يمتلك كراجا كبيرا ! !

سألت مام محمد قائلا:

–ألم تعرف لماذا عقد الاتفاق لمدة شهر واحد؟

أجابني و هو مندهش:

–هل من المعقول أن يكشف لي السبب الحقيقي؟

قلت له:

لماذا لا يعقل؟ ! يا ترى هل هناك ممن يقرأ خفايا ما يفكر به هذا الثعلب الماكر! ! كان من الممكن الالحاح و اللجوء الى من لديه معلومات حول هذه المسألة.

استرسل مام محمد قائلا:

–لقد ذهب كل هذا التعب و المصاريف هباء و بدون أية قائدة بالنسبة لي،باستثناء عباس

الذي حصل على وكالة مربحة و دسمة جدا،كيف سيتنازل عنها بهذه السهولة.

فقلت له:

– يا مام محمد، كان يجب عليك أن تكون حاضرا هناك اثناء تواجد لجنة التفتيش و الكشف على الكراج؟

قال لي:

–في ذلك اليوم الذي قامت فيها اللجنة بتفتيش و كشف الكراج، حاول عباس ابعادي بكل الوسائل،لكي لا استمع الى تفاصيل هذا الكشف،بذلك استطاع هذا المحتال أن يحصل على الاجازة،و الغريب بأنه اعاد الكراج الى صاحبه،لأنه لا يحتاجه بعد الآن! !

قلت له و أنا مندهش: اذن هي عملية احتيال و ألتفاف واضح على الشروط المفروضة حسب القانون، و هل أن الشركة كانت لا تعرف بأن هناك حالة احتيال واضح.

أجابني قائلا:

–لقد كان عباس ينتظر زيارة اللجنة المكلفة بالتفتيش و قرار منح الاجازة فقط لا أكثر.

قلت له:

–ففي حال استلام الحصة من السكائر، يا ترى اين سيتم خزن السكائر؟

ضحك و قال:

–عن أي استلام تتحدث؟ ياترى هل سيتم انزال كارتونات السكائر و وضعها على الارض؟! بل سيقوم ببيعها الى الاسواق السوداء مباشرة و باربعة أضعاف سعرها و هي مازالت في الشاحنة!

كيف تمكن عباس المحتال أن يحصل على اجازة الدكان؟!

يبدو أن مام محمد سيء الحظ، لأنه وقع مرة أخرى صيدا سهلا لهذا المحتال (عباس المحتال) الذي استطاع أن يلدغه مثل (العقرب) لكن ضريبة هذه المرة،هي حرمانه من الحصول على اجازة الدكان الى الأبد!

لا أحد يعرف بأن البلدية قد أصدرت قانونا جديدا حول منح اجازة الدكان، وبالاستناد على هذا القانون الجديد، يجب على الدكاكين الموجودة في الأزقة و الأحياء الالتزام بعض الشروط الخاصة، لأجل منحهم الاجازة.

المعروف عن عباس في زقاقنا و الحي عموما، بأنه لا يوجه التحية و السلام للجيران مجانا وبدون دافع و مصلحة معينة! ! خصوصا اذا كان لديه عمل خاص عند أحد هؤلاء الاشخاص، أي لديه قضية و مسألة مهمة التي تجبره على أن يوجه التحيات الحارة، ففي الفترة الاخيرة وجدت عباس المحتال يقترب مني كثيرا و كان يأخذ رأيي كثيرا حول بعض المسائل المهمة، لابل زاد من كرم ضيافته عندما كنت أزوره في الدكان، لقد كان يقدم المرطبات و الكيك بسخاء، لا بل كان يجبرني على تناولها ! ! و في الفترة الاخيرة تخطى الحدود في كرمه و وصل الى أنه أعطاني (علبة كبيرة من الحليب) و بدون أن يأخذ مني ثمنها؟! يا ستار! ! أحفظنا يا ربي العظيم من القادم و ما سنواجهه؟!

لذلك أحسست أن يكون وراء هذا الكرم المفاجئ لعبة و احتيال،لكني مع هذا حاولت التظاهر بعدم المعرفة بما يرسم له في القريب العاجل، الى أن أعرف مخططه الجديد و ماذا يخفي من ألاعيب شيطانية،سيما و أنه يمتلك امكانية كبيرة في اقناع الذي يريد استغلاله و ما يتمتع من تأثير سحري عجيب، بالذات عندما يكون لديه عمل عند أحد الاشخاص، أي الحاجة الى (واسطة أو دفعة)

لتنفيذ ما يريده،اذ سيحاول جمع المعلومات الكاملة عن هذا الشخص و اقاربه و اصدقائه، ثم يبحث عن فرصة لكي يقدم الهدايا.

في احدى الليالي كنت مشغولا باعمالي،بحيث رجعت في وقت متأخر من الليل الى البيت، و عندما وصلت قالت لي زوجتي:

–يبدو أن عباس المحتال يريدك في عمل ضروري؟

فقلت:

–يا ترى ماذا يريد هذا الملعون؟

أجابت زوجتي قائلة:

–لقد جاء هذا اليوم اربع مرات منذ فترة ظهيرة وهو يسأل عنك باستمرار!

انشغلت و بدأت بالتفكير، و أنا أتحدث مع نفسي قائلا (يبدو أنه يريدني في عمل مهم جدا و عاجل، بحيث يتطلب رؤيتي سريعا، خصوصا و أنه كان في الفترة الاخيرة كريما معي في ضيافته لي و هو يدور حولي بشكل مثير، يا ستار ترى ما هو مخططه و لعبته؟ يا ترى هل سأعرف الضحية القادمة؟).

في اليوم التالي و بعد فترة الظهيرة، أي مع الانتهاء من تناول الغذاء، طرقوا الباب، و ظهر بأنه عباس المحتال، بعد الترحيب به، وضع (فايلا) أمامي و قال:

منذ مدة طويلة وأنا منشغل باصدار اجازة دكان، أوصلت المعاملة الى النهاية و لم يتبقى سوى التوقيع النهائي، لكن وبسبب سوء حظي و ضرورة حضوري في بغداد غدا، وذلك من اجل اجراء عملية جراحية لساقي،لذلك أنا بحاجة الى المساعدة.

سألته:

–ما به ساقك و مما تعاني؟

أجابني قائلا:

–برز في الأصبع الكبير عظم زائد و يحتاج رفعه بعملية جراحية.

أجبته قائلا:

–نتمنى لك الشفاء العاجل و سألته:

–طيب ما هو علاقة الحصول على اجازة الدكان بهذه السفرة؟!

أجاب قائلا:

–اذا لم أتمكن من توقيع المعاملة في هذا اليوم بالذات، سيذهب كل جهودي في مهب الريح، و من جهة أخرى، من الضروري أن أدخل المستشفى صباحا و اجراء العملية الجراحية، فأنت تعرف جيدا بأن مسألة السفر و الذهاب بيد الانسان نفسه، لكن العودة و الرجوع ليس بيده .

أنا لم أفهم لحد الآن ماذا يقصد، لذلك سألته:

–طيب ما هو المطلوب مني و ماذا بيدي لكي أفعله لك؟

ضحك و قال:

–ان الأنتهاء من هذه المعاملة متوقف عليك أنت و على مساعدتك لي،ارجو أن تساعدني على انجاز هذه المعاملة، انها سهلة وستنتهي في نفس اليوم.

أوقعني في أمر الواقع و لم يبق امامي سوى الرضوخ لطلبه و قلت له:

–سأساعدك في حدود امكانياتي و تنفيذه لك.

أجابني قائلا:

–المساح الذي جاء اسمه داخل فايل المعاملة، انه رئيس لجنة منح اجازة الدكاكين داخل الاحياء السكانية.

قبل أن ينهي حديثه، نظرت الى الاسم، فقلت له:

–لكني لا أعرف هذه المرأة .

أجابني قائلا:

–أعرف بأنك لا تعرفها.

فقلت له:

–طيب كيف تطلب مني أن أساعدك و أنا لا أعرفها؟

قال لي:

–شقيق هذه المرأة، مهندس في دائرتكم.

سألته قائلا:

–من هو؟ وما هو اسمه؟

عندما ذكر لي اسمه، اصيبت بأندهاش، لأنني نفسي لا أعرف بأن شقيقة هذا المهندس هي مسؤولة قسم اجازة البناء ! !

فأجبته:

–ما هو المطلوب مني؟

أجاب قائلا:

سأقوم بتأجير تكسي لك و تعال معي، لكي نذهب الى بيته،لكي نطلب منه أن يساعدنا و يوقع لنا المعاملة!

لم يبق أمامي أي مهرب سوى أن أركب معه السيارة و ذهبنا الى البيت المقصود.

لكني غير متأكد من عنوان البيت؟

فأجابني قائلا:

–أنا سبق لي و ذهبت الى هذا البيت؟!

عند و صولنا طرقنا الباب، خرجت المرأة المسؤولة و قبل أن أتحدث معها، ألتفت عباس الى المرأة و قال لها و هو يشير لي:

–هذا (ابن أخي) هو موظف مع شقيقك المهندس في دائرة واحد

في هذه اللحظات المحرجة أحسست برعشة مفاجئة تسري في جسدي، وصل الحال الى التعرق و قلت مع نفسي (تصور هذا الملعون الذي جعلني ابن أخوه وأصبح عمي في لحظة تحقيق مصلحته الشخصية، و ذلك من اجل الوصول الى هدفه، لذلك أنا خائف من أن يورطني في ورطة كبيرة! !).

تصور رجلا قد وصل الى عمرالوقار ولحيته مليئة بشعيرات الشيخوخة البيضاء، و هو بعمر والدي، وضعني في موقف لا يحسد عليه، كنت أفكر في تخليص نفسي و أكشف كذبته الكبيرة، لكني مع ذلك حاولت السيطرة على نفسي و البقاء في هدوء تام،لقد وجدت هذه المرأة المسكينة في وضع محرج، و

بالذات عندما قال لها بأنه عمي؟!قبحك الله يا كذاب!! بحيث زادت من تقديرها و احترامها له،بحيث قالت تفضلوا و أدخلوا، ظهر أن شقيقها المهندس كان موجودا في البيت و الذي رحب بنا ايضا، ثم رافقنا بدلا من شقيقته، من اجل اجراء عملية المسح و قياس مساحة الدكان و هل ينطبق مع شروط البلدية بهذا الشأن، استنادا الى تعليمات البلدية، يجب أن لا تقل مساحة الدكان عن عشرين مترا متربعا، هذا بالاضافة الى أن تكون المساحة التي امام الباب لا تقل عن متر و نصف المتر، أي عن رصيف الشارع.

توجهنا نحو الدكان، و نحن في الطريق ،تذكرت بأن والدي يمتلك دكانا ايضا،لكنه و لم يحصل على الاجازة القانونية، لذلك و في بعض الاحيان كانوا يفرضون عليه العقوبات و الغرامات، لا بل كان يقع في مشادات كلامية مع مراقبي البلدية حول ما يعتبروه تجاوزا و مخالفة لشروط البلدية المفروضة، فلو كنت أعرف بأن هذا العمل يمكن اجراءه بهذه السهولة، لكنت أحاول مساعدة والدي بهذا الشأن ايضا، مع أنني نادم جدا على مرافقة هذا المحتال، لكن مع هذا لم أتعرض الى أي ضرر،لكنه مع هذا استطاع أن يحشرني في مشروع دكانه،أي جعلني أن أتوقع الأسوأ؟! مع هذا اصبحت أعرف كل شروط منح الاجازة للدكاكين و ما هي خفاياها، مع نفسي قلت (مع الصباح سأنطلق من اجل انجاز اجازة بناء دكان والدي)..لكن اهمية هذه الورطة تتركز على أنه كان السبب في معرفة أن هذه المرأة هي شقيقة صديق مخلص!

وصلنا الى الدكان الذي تم وصفه سابقا، لكن تم تغيير شيء واحد فقط و المتمثل بنقل بوابة الدكان الحديدي و ارجاعها الى الوراء، بمسافة متر ونصف المتر، وذلك بسبب شروط البلدية التي تم فرضها حسب القانون، لكن الذي أثار استغرابنا هي بقاء بقايا مثبتات الباب القديم التي يتم تثبيت البوابة عليها، أي بقيت الركيزة الاسمنتية ثابتة في مكانها .. في البداية، قام صديقنا المهندس بقياس المسافة بين بوابة الدكان و الرصيف، ثم قال:

–جيد، القياس مضبوط، أي تم دفعه الى الوراء لمسافة متر و نصف المتر، ثم توجه الى قياس المساحة الداخلية للدكان، لكنه لم يجد المسافة عشرين مترا و حسب القانون؟! لذلك هز رأسه قائلا:

–فقط من اجلكم سأحاول تجاوز هذا النقص و لا أذكره في التقرير، لأن احدى شروطه الاساسية مازالت ناقصة، لكن مع هذا، سأقول لأختي أن تقوم بتوقيع المعاملة! لذلك لم يبق أمامي سوى تقديم فائق شكري و تقديري له و لأخته، ثم رجعنا بالتكسي الى البيت، و نحن في الطريق سألت عباس قائلا:

–أنا لم أفهمك لحد الآن، فمن جهة كان لديك اصرار على زيارة بيتنا عدة مرات، و من جهة أخرى تقول انني على عجلة، بسبب ضرورة السفر الى بغداد، لأجل اجرء عملية جراحية، في حين كان يجب عليك مراجعة البلدية لأجل اجراء الكشف و المسح للدكان، كيف تفسر هذه التقاطعات في ظل وجود عدة مواعيد مهمة؟

ضحك و قال لي:

–أنت قمت بواجبك الأخوي وساعدتني، لذلك لا تشغل نفسك بهذه الامور البسيطة!!

أجبته قائلا:

–أستحلفك بمقدساتك أن تقول لي الحقيقة

حاول أن يأخذ المسألة الى جهة أخرى، لكي لايقول لي أي شيء

في هذه اللحظات بدأت بالتفكير في نوايا هذا الثعلب و يا ترى ما هو الفلم و ما هوالسيناريو القادم؟! وبعد تحليلها بعمق، لم أجد سوى (مثبتات البوابة) التي كانت تثير شكوكي و لماذا كان لديه اصرار على ابقاءها كما هي، لذلك سألته قائلا:

–يا عباس أنت لم تقل لي الحقيقة، أي لماذا لم تنقل مثبتات البوابة وأشتريت أثنتين و وضعتهما في مكان آخر

وقع في الضحك قائلا:

–انها تمثل مفتاح الحصول على الاجازة

و أنا في حالة اندهاش، قلت له:

–لم أجد سوى ظاهرة (مثبتات البوابة) حيث اثارت شكوكي في البداية؟

أجابني قائلا:

–غدا صباحا و عند مرورك على دكاني ستعرف الحقيقة و ستجد الاجابة.

في تلك الليلة بدأت في التفكير حتى وقعت في النوم، لكن دون جدوى و لم أعرف ما هو قصده؟!

مع الصباح توجهت الى المنطقة و مع مروري امام بيتهم، ألتفت الى جهة الدكان، فرأيت أن البوابة لم تبق في مكانها و تم اعادتها، أي تم أعادة مقدمة الدكان الى مثبتها القديم و كما كانت، تصوروا هذا الاحتيال الشيطاني!!

عندما رأيت هذه اللعبة المكشوفة أحسست بخجل كبير، لقد كنت قلقا على أن لا يعود المساح الذي قام بالتفتيش و يمر بتلك المنطقة و يرى الدكان في موقع مخالف للشروط، لكن الأهم و يثير القلق، هو أن يفهم بأنه عمي حقا!! و الذي كان سببا على تجاوز شرط أساسي ومنحه اجازة بناء الدكان داخل الاحياء، بالذات مسألة المسافة التي تستوجب على أن لا تقل عن مئة متر،أي أن تكون حسب القانون، هنا تذكرت مام محمد وسوء حظه!! لكن مع هذا لم يفلت عباس من العقوبة، وذلك عندما قام (مام محمد) بالانتقام منه و اخبار البلدية بصورة سرية حول كيفية منحه هذه الاجازة غير القانونية،اخيرا وقع في فخ قانون البلدية و أجبروه على هدم الدكان!!

ألف ذنب و توبة واحدة!!

منذ فترة لم أر عباس، أي لم نراه كما في السابق،لذلك كنت مجبرا لكي أفتح أذني للأحاديث التي كنت اسمعها من سكان الحي و الزقاق، عسى أن نسمع خبرا عن (عباس المحتال)، ان اختفاءه أصبح من الأمور الغريبة،بحيث أن لا نسمع شيئا عنه في أي مجلس من المجالس و أعتبروها معجزة ربانية! ! يا ترى هل أصبح مثل الحجر الذي يلقى في بركة مائية عميقة جدا وضاع فيها، مع أنه انسان غير محبوب و محتال، لكننا شعرنا بشفقة و رأفة تجاهه و هو ضائع عن العيون.

كما معروف بأننا و مع فترة الطفولة كنا نشتاق أن نسمع مكائده العجيبة ونقضي معها أوقاتا ممتعة، لكني لم أستطيع السيطرة على نفسي و قررت متابعة أخباره و ماهو مصيره، عقدنا اجتماعا موسعا مع سكان الحي و اتفقنا على أن نقوم بزيارة الى عائلته، سيما وأن للجيران حق على باقي سكان الحي و الزقاق.

ذهبنا الى بيته و أصبح لدينا أحساس بأن عباس مريض بصورة حقيقية هذه المرة، وظهر لنا و هو يتغطى بلحافين أثنين و بطانية أضافية و طالت شعيرات لحيته التي تشابكت بشكل مثير، أي أن وضعه كان يثير الأنظار،بالذات مع ذبول واضح في ملامحه و المائل الى الصفرة المرضية، و هو يئن و يتأوه بصوت عال وكأنه طفل يطلب حضن أمه و صدرها، أقتربت منه و وضعت يدي على جبهته و أحسست بحرارة عالية،أي انه كان يعاني من حمى غير اعتيادية، أيقظته وتحدثت معه بكلام لطيف،بحيث يثير عواطفه، بحيث أزرع الطمأنينة في قلبه، قمت برش بعض الماء على وجهه، أخيرا أجبرته على أن يخرج من تحت غطائه، قائلا له:

–جميع الجيران قرروا زيارتك من اجل الأطمئنان على صحتك، لذا يجب رفع معنوياتك، أي يجب أن تجمع قواك و تنهض...جلس وبدأ كعادته في السابق و التحدث عن مقدرته و المبالغة في مدح نفسه، أستمر في حديثه الى الضيوف قائلا:

– كما هو معروف بأن الحياة تشبه القنديل الذي سينطفأ بكل سهولة،أي يجب أن نعرف بان الحياة مجرد سنوات ستنتهي في أية لحظة، بالاخص الانسان الطيب و المليء بالطيبة و الحسنات، فالذي يفيد الانسان في يومنا هذا، هو القيام باعمال الخير و الاحسان و المعروف.. في هذه اللحظات الغريبة و العجيبة التي يسمع فيها الضيوف من عباس المحتال هذا الحديث الطيب،بحيث جعلهم في لحظات الاندهاش و الاستغراب، لذلك ألتفتوا الى بعضهم البعض و بدأ الحديث بهمسات عن ما شاهدوه هذه الليلة،يا ترى هل تمثل مراجعة حقيقية من قبل أنسان منحرف وأتخذ من الخداع مهنة له، لذلك كانوا يسألون: هل يا ترى هذا هو عباس المحتال الذي نعرفه و نجده اليوم يتحدث عن الطيبة و التعاون و المحبة، و كأنه قد دخل أنعطافة حقيقية، لا سيما و أنه يتحدث عن المستقبل المشرق!

استرسل عباس المحتال في حديثه قائلا:

–فاذا أعطاني الله العمر و الصحة، سأبتعد عن الاحتيال و الغش و المكائد و توجيه الأذى و المصائب للآخرين، سأبحث عن الخبز الحلال الذي سيجعله الله من حصتي، لكي نأكله مع عائلتي، أي التركيز على العمل الصالح و الابتعاد عن الطالح، لا سيما و انني رأيت الموت بعيني و كنت قريبا منه،بحيث أن الثروة التي قمت بجمعها طيلة السنوات الماضية، كانت لا تفيدني و تستطيع انقاذي من نار جهنم الذي ينتظرني في الآخرة؟!

ألتفت نحونا و وقع في البكاء المرير قائلا:

–ان ثروتي تجاوز مبلغ (مليون) دينار و لم أخرج منها (الزكاة) المفروض علينا كمسلمين، أي لم أعط فلسا واحدا! لذلك أجد نفسي في موقف مخجل

أمام الله والنبي وأمامكم، بهذه التوبة التي جاءت متأخرة، أعطانا بعض الاطمئنان و التفاؤل و وقعنا في البكاء تحت تأثير ما سمعناه من عباس وأصبحنا نسأل أنفسنا قائلين:

–و هل هناك أحد بيننا، لم يرتكب أي ذنب أو لم يقصر تجاه جيرانه، لكن من المهم أن الانسان الذي يرتكب أي ذنب، أن يحس به و يحاول عدم تكراره مرة أخرى، بمعنى الابتعاد عن ضغوطات الشيطان الرجيم، لذلك ليس غريبا أن نسمع دائما: (ألف ذنب و توبة واحدة) باعتبار أن الله رحيم و كريم و يقبل توبة الانسان) و عندما وجد عباس الأستجابة لدينا، أنشرح صدره و أحس بتفاؤل كبير و ألتفت نحونا و قال:

–لقد قررت مع نفسي، فيما اذا تخلصت من هذا المرض، أن أقوم بارسال كل رجال و نساء زقاقنا الى الحج! !

في هذه اللحظات العجيبة، أصيب الضيوف بذهول و أندهاش، وذلك بسبب ما سمعوه من عباس الثعلب من كلام عجيب، بحيث أحسوا بارتباك، لأنهم مازالو غير مقتنعين لما قاله، لا سيما تعهده بأرسالنا الى الحج، حتى انني بدأت أتحاور مع نفسي قائلا (هل من المعقول أن أسمع عباس أن يقول مثل الكلام الذي لا يليق به و بسلوكياته في الماضي؟!)

بدأ ينتشر شيء من الجلبة و الدمدمة و الهمسات بين الضيوف و هم يسألون:(هل من المعقول أن نجد عباس يتوب و يستعيد صوابه؟) و هناك آخرون يقولون (ان توبة الذئب هي مجرد كلام ولا تتحقق الا بموته فقط!)، و من جهة أخرى وجدنا مام حسين يقذف (السبحة) الى الأعلى و هو يضحك يقول:

–ان التوبة لا تليق بالأبليس أبدا؟! و هل من المعقول أن يتوب الأبليس؟

ثم قال مام حسين:

–قسما بالله العظيم بأنني لن أذهب مع عباس حتى الى بيت الله الحرام؟! لا بل حتى الى الجنة! !

كيف أصبح عباس المحتال رئيسا لقافلة الحج؟!

اقترب موسم الحج و بدأ معه انتشار اللافيتات الكبيرة، التي تجد فيها رئيس القافلة يعلن عن انطلاق تسجيل الاسماء الذين يريدون التوجه الى بيت الله، وهكذا وجدنا عباس المحتال يعلن عن تنفيذ تعهداته التي ترتكز على ارسال رجال و نساء و كبار السن الموجودين في زقاقنا الى الحج و القيام بالاستعدادت، حيث قام السكان بتشكيل وفد لزيارة عباس، و قبل أن يتحدثوا معه حول شؤون و مستلزمات الحج و مسألة المصاريف، بادر عباس قاطعا عليهم الحديث قائلا:

–و كما تعهدت لكم في العام الماضي، اذا تحقق لي ما أريده، سوف أرسلكم الى الحج، و استرسل في حديثة قائلا:

–لذلك أسرعوا في اعطائي المستمسكات الرسمية، مثل هوية الاحول المدنية مع الجنسية العراقية،هذا بالاضافة الى عدد من الصور الشخصية، لكي أضيف أسماءكم الى القائمة واصدار جوازات سفر الحج لكم،فالذي لديه الآن هذه المستمسكات ليسلمها لي و الباقي يجلبها غدا، لقد فرحوا كثيرا بما سمعوه من عباس! !

ألتفت اليهم مرة أخرى قائلا:

–انتم تعرفون وبالاستناد الى تعليمات هذه السنة، السفر الى الحج يشمل (كبار السن و كذلك الذين يؤدون فريضة الحج لأول مرة أو مضى ثلاث سنوات على سفره الاول) ان هذه الشروط اصبحت عائقا امام ارسالكم جميعا الى الحج و بدون أية استثناء.

مضى خمسة عشر سنة على قيام الحاج حسين بأداء فريضة الحج ويمتلك بعض المعلومات عن هذه الفريضة، حيث كان يستهزأ و يستخف بتعهدات عباس المحتال و يوجه حديثه الى الناس قائلا:

–قبل خمسة عشر عاما و عندما توجهنا أنا و زوجتي (عائشة) الى بيت الله الحرام، بحثنا عن رئيس القافلة و تمكنا من الاتفاق مع احد المتعهدين،حيث قام باضافة اسماءنا و اخذ منا مبلغ النقل و المواصلات، ثم فجأة أشار باصبعه الى عباس المحتال قائلا:

–ان كل سن من اسنان عباس قد ظهر خلال سنة واحدة!! أي بمعنى أنه جاء للحياة من اجل أن يخدع الناس فقط لا أكثر؟! تصوروا هذا الملعون الذي لم يصلي و حتى لم يصوم في يوم من الايام، لا بل كان لديه الاصرار على أنه لا يختار سوى الطالح و الطريق التخريبي و الخداع و الغش، مبتعدا عن الصالح و المفيد، اذن كيف لي تصديق وعوده الاخيرة، لذلك يحق لي أن أسألكم: كيف يدخل الى عقلكم أن يأخذكم الى الحج على حسابه الخاص؟! ثم هز رأسه قائلا: (أنا أشك بأن وراء هذه المبادرة العجيبة لعبة شيطانية؟!)

أنشغل رحمان الباجه جي و رفيق الجايجي بأصدار هوية الاحوال المدنية و الجنسية العراقية التي استغرقت يومين، لذلك كنا نراهم يقولون و هم يضحكون:

–نحن لا نخسر شيئا، لقد قمنا بالاستعدادات و سجلنا اسماءنا، فاذا نفذ تعهداته سيعتبر شيئا جيدا، أما اذا كذب علينا (يلعنه الله و يفضحه امام الناس) و سيتحمل مسؤولية عدم توجهنا خلال هذه السنة الى الحج، وسنتوكل على الله في السنة القادمة و على حسابنا الخاص

موعد الحج كان يقترب كثيرا و بدأت القوافل تتحرك تباعا نحو بيت الله الحرام، في أحد الايام و عندما كنت متوجها الى السوق، رأيت عباس المحتال و هو يرتدي بدلة كردية جديدة و هو يجلس في دكانه، واضعا مجموعة من الفايلات على المنضدة التي كانت أمامه،وجمع عددا من كبار السن حوله، وهم سكان حي المفتي، و هو يلقي عليهم الفتوى قائلا:

–انتم تعلمون بأنني سوف ارسلكم الى الحج على حسابي الخاص و لا أريد منكم أي شيء سوى مساعدتي عند العودة من الديار المقدسة، أي أرجو أن لا تحملوا معكم أغراض زيادة!

الجميع هز رأسه و قالوا:

–أشهدوا ما بالله كلام معقول، أي من حقك يا عباس أن تطلب مثل هذا الطلب، باعتبار اننا نذهب الى الحج من اجل تأدية واجبنا الديني المفروض علينا فقط،أي لن تكون للتجارة و جلب الهدايا، ألا يكفينا بأننا نحج بيت الله بدون دفع أي مقابل مادي! انها فرصة ذهبية و لن تتكرر أبدا.

كان عباس المحتال واقفا و هو يسترسل في الحديث مع الضيوف، قائلا:

–أيها الاخوة الاعزاء، من الممكن أن نجد بينكم أشخاص غير صالحين و يمارسون الغش و الخداع و السرقة، و هم مرفوضين من قبلكم، حتى أنهم غير مرغوبين في مرافقتهم و السفر معهم الى بيت الله، لكن الغريب في أن نجد عند هؤلاء المنحرفين اصرارهم على تأدية فريضة الحج و كأنهم لم يفعلوا شيئا؟! ألا يعلموا بأنهم سيتوجهون الى بيت الله الحرام الذي يتطلب النيات النظيفة و الابتعاد عن كل هذه السلوكيات الشيطانية.

أستمر عباس المحتال في حديثه قائلا: أكرر رجائي مرة أخرى و المتمثل بعدم جلب أموال كثيرة و حددوها بما تحتاجونه ، والا انتم ستتحملون ما سيترتب عليكم من ضرائب اضافية، و لا أريد سماع عبارة أن عباس لم يقل لنا هذه الملاحظة المشروطة.

مرة أخرى سمعنا همسات وأحاديث غير مسموعة، و فجأة ألتفت الضيوف الى بعضهم البعض و قالوا بصوت واحد:

–أشهدوا بالله كلام صحيح و هذا من حقك، و هل من المعقول أن نحمل معنا فلوس اكثر من متطلبات تأدية فريضة الحج؟!

كان عباس قد أخذ طريقه في الحديث قائلا:

–هناك شيء آخر أريد أن أقوله لكم، اذ يجب قول كل شيء بصراحة و جعل الأمور مكشوفة مقدما، لكي لا نجادل بعضنا البعض، حيث التأكيد على انني لن أقبل عند الرجوع بجلب كل أنواع الهدايا الثمينة و الغالية، بأستثناء (كمية محدودة من السبح و الهدايا الصغيرة) فقط؟!

الجميع صاح بصوت واحد وقالوا:

–أشهد ما بالله من حقك يا عباس أن تطلب منا مثل هذا الطلب،أي لك الحق في أن لا تتحمل أعباء الشاحنة الثقيلة جدا!!

بعد مضي عدة أيام، صادف طريقي المرور أمام بيت عباس و رأيت شاحنة كبيرة و سيارة حمل أخرى (تحمل طنين)!! هذا بالاضافة الى باص كبير للركاب قد وقفت أمام بيت عباس المحتال، و تم تعليق (لافتة كبيرة) في مقدمة الباص و مكتوب عليها بخط كبير (حج مبارك و مقبول) و في اسفل اللافتة عبارة (رئيس القافلة/ الحاج عباس)!!

سكان الحي الذين سجلوا اسماءهم عندعباس، أنشغلوا بتنظيم المواد و المستلزمات الاساسية التي يجب ادخالها الى الباص ، و عندما نظرت الى الباص و قرأت اللافتة مثبتة في مقدمتها، بدأت أضحك، لأنني تذكرت ألاعيب و سيناريوهات عباس التخريبية التي تضمنت الغش و المكائد و الخداع و الحيلة و المكرالشيطاني، بحيث وقعت في الحديث مع نفسي قائلا (يا ترى ما الذي جعل المحتال عباس أن يتوب بهذه السرعة و في هذا الوقت بالذات،أن يكون رئيس قافلة فريضة الحج! فالعقل لا يتقبل رؤية ثعلب محتال و كذاب، في أن يتوجه الى أداء فريضة الحج! لقد كان يبدو على عباس التعب و عدم التركيز في ذلك اليوم، لقد كان يتحرك بسرعة في باحة الباب، حتى أنه قام بأشراك أطفاله في هذه الحملة الصعبة، كانوا يتحركون مثل حركة النمل المنظمة بين الحافلة و الشاحنة وباحة البيت، ينقلون الكارتونات من الداخل الى الشاحنة و تتم تنظيمها بصورة منظمة، لكي يفسح المجال للباقي من الحمولة، أخيرا توجهت اليه وسألته قائلا:

–ماذا تحمل في هذه الكارتونات؟

أجابني قائلا:

–انها تحمل (مربى المشمش)؟!

قلت له:

–ماذا تفعل به، ما علاقة المربى بأداء فريضة الحج؟ يا ترى هل تريد أن تتاجر بها هناك؟!

أجاب:

–يجب أن تعرف أنني رئيس قافلة و اعرف ما هي المشاكل و المعوقات ستعترضنا في الطريق الصحراوي! خصوصا و أن طريقنا يمر بمناطق صحراوية جافة و لا تجد فيها سوى التراب و الغبار، لذلك وضعت (المربى) للأكل في مثل هذه المناطق، فالذي يشعر بالجوع ليأكل المربى الى أن يشبع؟!

فكرت قليلا، لكني كنت عاجزا عن الكلام!

عودة قافلة الحاج عباس من الديارالمقدسة!!

انتهى عيد الأضحى، بدأ معه ظهور العمامات الصفراء الجديدة على رؤوس الحجاج العائدين من بيت الله الحرام، قوافل الحجاج العائدة التي كانت تقف امام (تكية الشيخ عبدالكريم) حيث كانت مثل المطار و نقطة التقاء الحجاج مع عوائلهم، باعتبار انها كانت تتجمع هناك و ينتظرون عودة الحجاج العائدين، بعض الاحيان تراهم يتجمعون حول الحجاج الذين يصلون، للتعرف أو السؤال عن المتأخرين، ومعرفة سبب تأخرهم أو عدم وصولهم لحد الآن...

عند رجوعي الى البيت مساء، وجدت امامي عودة قافلة الحاج عباس و معه عاد الحجاج (رحمن الباجه جي و رفيق الجايجي و مام محمد و باقي الجيران) و هم يعتمرون العمامة الصفراء، و قد انشغلوا بأنزال المواد و السلع التي حملوها معهم من هناك.

اتجهت نحوهم وأحتضنتهم و قبلت الجميع مع تقديم التهاني الحارة بسلامة عودتهم، ثم قلت لهم:

–انني كنت لا أثق أبدا بتعهدات عباس المحتال الذي قرر أن يأخذكم معه الى الحج؟! لقد كنت أقول مع نفسي، بأنه سيرجعكم عائدا الى البيت مع الوصول الى طريق (عرعر) الحدودية!! و هل من المعقول أن يبادر هذا الثعلب الى القيام بهذا العمل الأنساني! وجدت الحاج رفيق الجايجي يضحك و يقول:

–لقد تعامل معنا الى هذا الحد الذي كنت تفكر فيه، كان يتمنى لو قام بأرجاعنا الى المكان الذي انطلقنا منه في مدينتنا!

فقلت له:

–ماذا تقصد يارفيق؟

جماعتنا من الحجاج كانوا مستائين و مشمئزين من عباس، لا بل كانوا ينظرون اليه بعيون مليئة بالعتب و الزعل، بينما هو كان عابسا وتعيسا وصامتا و لم نسمع منه شيئا!

رأيت الحاج عباس يوجه أبناءه، لكي يصعدوا الى الشاحنة و الانشغال بأنزال الكارتونات وادخالها الى الداخل، نظرت الى داخل الشاحنة و وجدتها مليئة بالكارتونات الكبيرة و المفروشات الغالية و جميع انواع السلع و المواد الثمينة!! نقلوها الى بيت الحاج عباس!

قلت للحاج رفيق الجايجي مازحا معه:

–ما هذا الذي نراه من الحمل الكبير، و هل حصل الحاج عباس على وكالة للاستيراد و التصدير؟!

فأجابني قائلا:

–أنا أحس بأن سؤالك هذا مبطن ويحمل الاشارة الى شخص أو حالة ما؟! أم انك تريد المزاح معنا؟ لكني متأكد بأنك تقصد هذا الثعلب عباس المحتال و كيف استطاع املاء هذه الشاحنة بعلب من المربى القديمة التي كانت متروكة في

دكاكين مدينة اربيل و قام بتوزيعها علينا و على جميع حجاج مكة و المدينة! انني الآن نادم ندما كبيرا بسبب مرافقة هذا (الابليس) لأداء فريضة الحج! !

استغربت و أندهشت كثيرا بما سمعته من عتب و لوم، فقلت:

–أن المهم هنا، هوأنك لم تخسر شيئا؟! يكفي بأنه أخذكم معه الى الحج على حسابه الخاص، و ماذا تريدون أكثر من هذا يا ترى؟

فأجابني قائلا:

–لقد ثبت لنا بأن هذا الملعون قد تاجر بنا، و يبدو اننا كنا سذج و ينقصنا الذكاء الضروري! !

سألته قائلا:

–كيف حدث هذا يا ترى؟

أجاب قائلا:

–ان شروط الحج خلال هذه السنة كانت صعبة و معقدة، بحيث لا يمكن مقارنتها بالسنوات الماضية، لذلك وجدنا هذا المحتال قد استغل هذه المسائل و بادر الى تجربة لعبة شيطانية جديدة، بعد أن تعهد لكبار السن و العجائز أن يأخذهم الى الحج، بذلك استغل هذه المبادرة و أصبح يرأس قافلة للحج، بالتالي ممارسة التجارة!

أجبته قائلا:

–اعتقد أنه شيء طبيعي، و هل هناك ضرر في هذه المبادرة؟ خصوصا و أنه متمكن ويستطيع السفر بدون الاعتماد عليكم

أجابني قائلا:

–انك تعرف جيدا بأنه يذهب للزيارة و التجارة فقط؟

فقلت له:

–اننا نعرف ماهو هدفه و لماذا يتوجه الى المكة؟

– ماذا تقصد بالتحديد؟

فقال:

–يحق لرئيس القافلة أن يخصص له شاحنة للحمل اثناء السفر.

قلت له:

–انه شيء طبيعي و ماذا بها؟

أجاب قائلا:

–كيف تقول انه شيء طبيعي؟ ألا ترى هذه الشاحنة مليئة بالسلع و المواد الغالية، لذلك نستطيع القول بأنه استطاع التجارة بنا، وذلك من خلال بيع هذه المواد بأربعة أضعاف أسعارها الاصلية؟!

قلت له:

–و ماذا بعد؟

قال:

هل تتذكر عندما كان هذا الثعلب ينصحنا قائلا: لا تأخذوا معكم مبالغ اكثر من اللازم، لكي لا يسرقوكم هناك؟

قلت له:

–نعم أتذكر هذا الكلام جيدا و كنت أعرف بأنه غير صادق كعادته وفعلا أثبت عكس ما قاله و حمل معه شاحنة كبيرة و حرمنا من أن نشترى الذي نرغب فيه!

قال:

–كان بأمكاننا أن لا نسمع كلامه، بحيث نحمل معنا المبالغ الكافية، و نتمكن من شراء بعض السلع و المواد الثمينة، ثم بيعها بسعر جيد، في حين استطاع هذا المخادع استغلال هذه الفرصة الذهبية و تمكن من أن يملئ شاحنة كبيرة بالسلع و المواد الممنوعة و توصيلها الى المكان الذي يريده، كذلك تمكن الألتفاف على مراكز التفتيش الكمركي الموجود في منطقة سفوان الحدودية، وذلك عندما سجل كل مادة و سلعة باسم من الاسماء الموجودة في القافلة، بذلك لم يدفع فلسا واحدا كضريبة كمركية مفروضة! بينما نحن كنا نحترق لبعض الهدايا التي نريد جلبها لعوائلنا و ضيوفنا و عبرنا عن ندمنا الكبير!!

ثم سألت قائلا:

–طيب لماذا لم تحاولوا أن تحملوا معكم مبالغ احتياطية للطواريء و الضرورات؟

أجابني قائلا:

–حملنا بعض المبالغ البسيطة، لكننا و قبل أن نصل الى الديار المقدسة، أجبرنا هذا الثعلب على شراء (المربى العفن) و استطاع اخراج ما كان موجودا في جيوبنا و بقينا مفلسين!

فقلت له:

–هل تريد أن تقول لنا بأنه تمكن من تصريف كل هذه الكمية من (المربى) على حسابكم أنتم؟! يا لسوء حظكم الذي أوقعكم في مصيدة هذا المحتال الذي لن يتوب أبدا!

لكنه وقع في الضحك و هو يقول:

–نعم، لقد قلت الحق في أنه تمكن من تصريف المربى على حساب ركاب القافلة التي كان يقودها! ! بدون أن يراعي وازع الضمير في أدنى حدوده الانسانية أو مراعاة أننا متوجهين الى الديار المقدسة و اداء فريضة الحج! و ليس المتاجرة بالحجاج الذين يرافقهم، بذلك تمكن من أن يضرب عصفورين بحجر واحد! !

علما بأن هذا المحتال قد أوضح لنا قبل السفر، بانه تم جلب (المربى) من اجلنا ويمكننا أن نأكله في المناطق الصحراوية الطويلة و الفارغة من السكان، و بهذه المكيدة الشيطانية تمكن من الأفلات من الكمرك و لم يدفع فلسا واحدا؟! لكن الشيء الأعظم هنا، هو أنه تمكن من بيع هذه السلع المهربة بأربعة أضعاف سعرها الاصلي و تعويض مصاريف هؤلاء الحجاج الذين أخذهم على حسابه الخاص! وبذلك تمكن أن يعود و يحمل معه هذا المبلغ الكبير! !

وبينما أنا و الحاج رفيق الجايجي كنا مشغولين بسرد هذه الاحداث، فجأة سمعنا ارتفاع صوت الحاج رحمان و مام محمد، و عندما ألتفت اليهما، اصبحا في موقف المواجهة مع عباس المحتال و يقتربان من الاصطدام المباشر! !

الحاج رحمان قال:

–الغسالة ملكي و سأخذها الآن.

بينما نجد الحاج عباس يقول:

–أصبروا علينا قليلا، لدي فيها بعض الحق و سأحاول أن أرسلها لكم صباحا.

عندما حاولت التقرب منهم، ألتفت الحاج رحمن نحوي و قال:

–بالله عليك هل لي فيها حق أم لا؟

نحن لا نريد أن نحسم مسألة الحق بصورة عشوائية، لنقول بأن الحق في جانب الحاج رحمان! !

فقلت:

–بدون أي شك، أنه من حقك أنت.

بينما نجد الحاج عباس يضع يده على عمامته الصفراء و هو يكرر الحلف بالمكان المقدس الذي حج فيه، لا بل قد تعود على الحلف و هو غيرصادق، و يقول: بقدسية بيت الله الحرام أمتلك فيها حقي الشخصي و سأردها غدا.

تغير ملامح وجه رحمن نحو الأحمرار، لأنه كان غاضبا جدا، خصوصا و أنه كان منفعلا جدا و في حالة هياج و فوران، لقد كان يصرخ بأعلى صوته قائلا:

–هل من المعقول أن تشتري حاجتك بفلوسك، ثم ترى أن هناك ممن يحاول الأستيلاء عليها أمامك وبدون وجه حق؟! هل هذا حق؟ هل ألله سبحانه وتعالى يقبل هذا الذي يعتبر سرقة واضحة؟! ثم ألتفت الينا قائلا:

–الأخوة الأعزاء، اريدكم أن تشهدوا على هذا الحدث، ليأتي شخص موثوق ومحايد و يثبت لنا من هو صاحب الحق فعلا؟! عسى أن يعرف بالدقة لمن الحق يا ترى؟ عندها سوف لن أتحدث ابدا أمامكم وسأتنازل عن الغسالة التي اشتريتها بفلوسي الحلال و أريدها من الله،ليأخذها و يعوضني الله عليه؟!

الجميع صاح بصوت واحد:

–اشهدوا بالله، انه كلام معقول يا جماعة ، حاولت الاقتراب من الحاج عباس و وضعت يدي على كتفه، فقلت:

–اذا لم يكن هناك ممن لا يعرفك جيدا، تأكد بأنني اعرفك جيدا يا عباس!! فأنا أعرف جيدا ألاعيبك المكشوفة التي تدخل ضمن سلسلة الاحتيالات المكشوفة و تريد لعبها بذكاء المحتالين، لذلك ليس هناك حاجة لكي نتعب هذا المسكين و اذا كنت متأكدا بان هذه الحاجة هي ملكه الشخصي،لذلك يجب أعطاءها و بدون التعدي عليه و على حقه الشرعي، أي بأمكانك تحديد صاحب حق، لأنك تعلم جيدا بأن هناك خداع و حيلة شيطانية، هدفه الاستيلاء على حق هذا المسكين؟! تفضل يا عباس و باعتبارك رئيس قافلة أثبت لنا الحقيقة و تصحيح الوضع أمام الجميع!ّ

كان الحاج عباس مترددا وحائرا و لا يعرف ماذا يفعل، لا سيما و هناك احساس تدفع الى قول الحقيقة و كأنه هناك سر خطير جدا مازال مخفيا و لا يريد كشفه أمامنا! في الحقيقة أنا ايضا كنت على عجلة لمعرفة هذا السر المهم،خصوصا و أن كل المحاولات كانت من اجل الوصول الى الحقيقة لكنهم كانوا ينتظرون مبادرة عباس المحتال في أن يظهر هذا الحق! لذلك لم يبق أمامنا سوى الضغط على الذي يريد الاستيلاء على الغسالة بدون وجه حق، أي أجباره على التنازل عن هذه الغسالة و أن يرفع يده عن حق الحاج رحمان و تسليمه الأمانة! في هذه اللحظات الحاسمة كان وضع الحاج عباس محرجا جدا و كأنه فعل عملا مخجلا، و لم يبق أمامه سوى اخراج (المفكة ومعدات فتح البراغي، حيث توجه الى مؤخرة الغسالة و أخرج منها جهاز فيديو ناشينال من داخلها؟! و قال:

–هذا الفيديو، ملكي أنا.

أندهش الموجودون هناك حول ما شاهده، بينما هز الحاج رحمان رأسه و قال:

–اللعنة على الشيطان و معه المحتال عباس على ما يمارسه من افعال شائنة و شيطانية!

يبدو أنه تمكن من تمرير مكائده علينا وبدون أن نعرف و نحس به! لقد حلف بكل مقدساته أمام ضابط الكمرك بأنه لا يوجد فيه أي شيء، لكن تصوروا لو قاموا بتفتيش ما بداخها، وماذا سيكون موقفي و مصيري؟! لقد أصابهم الحيرة و الغرابة و هم يشاهدون حيلة)الثعلب عباس(، يا ترى ماذا أخفى ايضا داخل السلع والمواد الأخرى؟! ان ممارساته الثعلبية أكدت بأنه لن يتخلى عن سلوكياته و ألاعيبه الخبيثة وأتباع اسلوب الألتفافات و المكائد تحت أي ستار، حتى ولو عن طريق أداء فريضة حج بيت الله و باسم الدين الاسلامي الحنيف! أن الحديث عن ما يقوم به الحاج عباس لا ينتهي و يمكن أن نسمعها طيلة أيام السنة، و لا يهمه أن كان صديقا أو جيران و لا حتى أقرب المقربين اليه، فالمهم تحقيق مرامه و اهدافه الشيطانية فقط.

عندما رأيت عباس المحتال يتوب و يتوجه الى بيت الله الحرام، شعرت بفرح و تفاؤل كبير، وتحدثت مع نفسي قائلا (أنها خطوة مباركة وأتمنى أن تكون خطوة حقيقية نحو التخلي عن أفعاله و مكائده و سلوكياته الشنيعة و المخجلة، اذ بها ستنتهي أفلام و سيناريوهات عباس المحتال الصبيانية، رغم دخوله سن الشيخوخة) لكنني لم أعرف بأنه سيعتبر ذهابه الى فريضة الحج، بمثابة حصوله على شهادة الدكتوراه في ممارسة الكذب و الغش و الاحتيال و المراوغة، لا بل أثبت بأنه سيظل فاقدا للضمير الانساني و الوفاء و المحبة الربانية التي من المفروض أن تتواجد في قلب كل انسان، يا ليت لم أرى عباس المحتال و هو حاج و أدى فريضة الحج، لا بل يعتمر العمامة الصفراء البراقة! ! لأنه الآن يستغلها في تمرير مكائده و يحلف بهذه العمامة و بيت الله (كذبا وتلفيقا) و هو يفتري على الناس و يستغل أوضاعهم و نزاهة نياتهم و الثقة العمياء بهذا الثعلب المفترس، في السابق كان يحلف بشرفه و الله و طلاقه، لكنه اليوم أصبح يضع يده على العمامة و يشير الى جهة القبلة و بيت الله الحرام الذي زاره قبل مدة قصيرة! !

ملحق

(ملف قضية رواية المحتال لدى محكمة بداءة اربيل الثانية برقم ٨٠٤/ب/١٩٩٨)

.....

الجمهورية العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة العدل

محكمة بداءة أربيل/٢

الدعوى ٨٠٤/ب/١٩٩٨

تشكلت محكمة بداءة أربيل/الثانية بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٣٠ برئاسة الحاكم السيد رؤوف رشيد المأذون بالقضاء بأسم الشعب وأصدرت قرارها الاتي:

المدعي (ع.م) وكيله المحامي (ه.م. ط)

المدعي عليهما:

١- كمال سعدي مؤلف رواية المحتال

٢- وزير الثقافة في الاقليم اضافة لوظيفته/ وكيله المحامي (ن. ي. م)

القرار:

لادعاء المدعي ((اشتريت مع المدعى عليه الأول كمال سعدي قطعة ارض في أربيل أفرزت الى ثلاثة أقسام سجلت قطعتان منها بأسم بنتي (ج.ع) والقطعة الثالثة بأسم المدعى عليه الأول. واستمرت علاقاتنا فحاولنا شراء قطعة اخرى في الموصل مشتركا. وقد استغل سفري الى خارج الاقليم، فألف كتابا سماه ((المحتال)) سرد فيه كل ماحدث بيننا من تعامل ووصفني فيها بأكاذيب لاحصرلها وطبعها ونشرها بموافقة المدعى عليه الثاني، اضافة لوظيفته وبسرعة نفذت الكتاب في الاسواق وقرأه جمهور كثير. وعند عودتي الى أربيل وتجوالي في الأماكن العامة تلقيت نظرات غريبة وأشمئزازية وساخرة من بين المارين بجواري وينادونني بأسم ((المحتال)) اضافة الى همسات واشارات وعند البحث والتحري من قبلي ومن قبل أقربائي أسباب هذه الظواهر الغريبة العجيبة، عثرنا على الكتاب المذكور،حيث ان عمل المدعي عليهما ألحق بي أضرارا أدبية بالغة اتصلت بالمدعي عليه الاول وبعد استجوابه طلب مني العفو والمدعي عليه الثاني اضافة لوظيفته أبلغني بعدم وجود رقابة على المطبوعات وانه لم يقرأ الكتاب قبل نشره)). فطلب الزامهما بالتضامن بتعويضه عن الاضرار التي الحق به والمقدرة بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة الف دينار سويسري ولاجل دفع الرسم طلب الحكم ابتداء بمبلغ ١١٠٠ الف ومائة دينار والاحتفاظ بالباقي المقدر من قبل الخبراء بدعوى منضمة أو مستقلة كما احتفظ بالشكوى الجزائية تجاههما مع تحميلهما المصاريف وأتعاب المحاماة)).

وللمرافعة الحضورية بين الطرفين ونسخة من الكتاب الصادر من دار طباعة وزارة الثقافة في الاقليم لعام ١٩٩٧ بأسم (المحتال) والمتخذ شكل (رواية) للمؤلف كمال سعدي وحمل الغلاف صورة كاريكاتورية ساخرة لرجل بدين بملابس مختلطة ووجود صور كاريكاتورية عديدة ضمن صفحات وفصول الكتاب. وللائحة المقدمة من قبل وكيل المدعي توضيحا لاستفسارات المحكمة حول تاثير الرواية على

شخص موكله وبما يقلل من مكانته الشخصية والاجتماعية في المجتمع الاربيلي. ولدفع المدعى عليه الاول في لائحته المؤرخة ١٩٨٨/٩/٢٣ بأن الرواية محل الدعوى تم طبعها ونشرها في شباط ١٩٩٧ أي قبل أكثر من سنة ونصف من تأريخ افادة هذه الدعوى ولدفع وكيل المدعى عليه الثاني بمرور الزمان حسب قانون المطبوعات النافذ. ولتكليف المحكمة المدعى عليهما حول تأريخ توزيع المطبوع وايداع نسخة من الكتاب لدى المكتبة الوطنية في اربيل وللوائح المتبادلة والكتب المبرزة وتكرار اطراف الدعوى لاقوالهم وطلباتهم وحيث تبين لهذه المحكمة ان الرواية. قد تم طبعه من قبل دائرة المدعى عليه الثاني اضافة لوظيفته بتأريخ ١٩٩٧/٢/٥ وتم ايداع نسخة منه لدى المكتبة الوطنية بعدد التسجيل ١٧٦ في ١٩٩٧/١١/٢٩ ويقوم المدعي عليه الاول بنشر الخبر عن صدور الكتاب في الجرائد المحلية وفي الصفحة الأخيرة من جريدة (برايتي) العدد ٢٢٧٥ في ١٩٩٧/٢/١٨ وجريدتي (هةريمى كوردستان) و (صوت الشعب) الصادرتين في ٢/٢٣/ ١٩٩٧ حيث ان الدعوي مقامة تستوجب دفع الرسم في ١٩٩٨/٨/١٩ وكون موضوع الدعوى وطلب التعويض والاضرار هذه مشمولة بأحكام قانون المطبوعات رقم ١٠ لسنة ١٩٩٣ النافذ في الاقليم ،حيث ان هذه مقامة خارج المدة القانونية المنصوص عليها في الفقرة ٢ من المادة الحادية عشرة من قانون المطبوعات النافذ حيث لاتسمع دعاوى الاضرار وطلب التعويض بعد مرور ثلاثة أشهر من تأريخ النشر في المطبوع الدوري أو البدء بالتوزيع في المطبوع غير الدوري. لذا ولدفع المدعي عليهما بهذا الخصوص حكمت برد دعوى المدعي عن هذه الجهة وتحميله المصاريف واتعاب المحاماة لوكيل المدعى عليه الثاني المحامي (ن.ي.م) بمبلغ ١١٠ مائة وعشرة دينار حكما حضوريا قابلا للاستئناف والتمييز صدر وفق احكام المواد ١١ ف٢ من قانون المطبوعات والمواد ٥٨ من قانون الاثبات و ١٥٤، ١٦١، ١٦٦ من قانون المرافعات والمادة ٦٣ من قانون المحاماة. وافهم علنا في ١٩٩٨/١٢/٣٠ .

الحاكم

رۆوف رشيد

ملاحظة:

تم تصديق قرار المحكمة من قبل محكمة تمييز اقليم كوردستان بعدد (١٠٦/ ه م/١٩٩٩ في ١٩٩٩/٤/٢٩

ملحق (الملف المرقم ٨٠٤ /ب/١٩٩٨) الموجودة في المحكمة البدائية في اربيل، العدد الثاني الخاص برواية (المحتال).

صورة جانب من محاكمة مؤلف الرواية

صورة حاكم رؤوف رشيد

صورة بعض الادباء والمثقفين والحقوقيين المدافعين عني امام المحكمة

أسماء السادة الذين دافعوا عني في الشكوى المرفوعة الى المحكمة، و يظهررون في الصورة وهم (د.معروف خزندار، الشاعر عبدالخالق سرسام، القاص صابر رشيد، طارق جامباز،المحامي حسام الدين سرداري، المحقق العدلي سردار خوشناو، المحامي دشتي، الكاتب ايوب كلالي، كذلك الدكتورة شكرية رسول، مهدى خوشناو، سعدي برزنجي هذا بالاضافة الى سادة آخرين.

***نجاة خوشناو**

(كاتب و مترجم)عضو اتحاد العام للأدباء و الكتاب في العراق

أصدر الكثير من الكتب الأدبية التي تختص باللأدب العراقي و الكردي خصوصا و بالذات (قصص/قصائد/ روايات كردية) و ذلك ترجمة و نقدا، كذلك هو عضو في اتحاد أدباء الكرد/فرع أربيل.